وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة محمد بوضياف بالمسيلة

كلية: العلوم الانسانية والاجتماعية

قسم: قسم التاريخ

الرقم التسلسلي:.....

رقم التسجيل ط1: 19953493

رقم التسجيل ط2: 1633065018

الرحلة الجزائرية إلى الحجاز وأهميتها التاريخية 1518-1830

مقدمة لنيل شهادة ماستر في تخصص: تاريخ الجزائر الحديث (1519-1830)

إعداد الطالب:

عصام الدين شدري

يعقوب بلعلى

أمام لجنة المناقشة:

الرقم	الاسم واللقب	الرتبة العلمية	الجامعة	الصفة
1	مصطفى عبيد	أستاذ محاضر	المسيلة	رئيسا
2	عبد الله مقلاتي	أستاذ محاضر	المسيلة	مشرفا ومقررا
3	بلال كشيدة	أستاذ محاضر	المسيلة	عضوا

السنة الجامعية: 2021/2020

بسم الله الرحمن الرحيم

إهداء

﴿ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ

وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ ﴾

سورة النمل 19

نهدي هذا العمل المتواضع إلى:

عافية الأبدان وشفائها ونور الأبصار وضيائها سيدي ونور قلبي محمد صلى الله عليه وسلم

إلى التي حملتني وسهرت على تربيتي إلى التي لا تكون الحياة إلا بها ومعها إلى من يهواها القلب والعين ترتاح لرؤيتها إلى من غمرتني بعطفها وحنانها إلى فاتحة باب الجنة أمي الغالية حفظها الله

إلى من رسم لي طريق الفلاح وعلمني أن المرء لا ينال ما يتمنى إلاّ بالكد والجد والعمل إلى من منحني الأمل والإرادة والعمل إلى من تعب لأجلي وكان لي المرشد في الأزمات ودفع بي إلى معارج العلم ولم يبخل علي بشيء إلى من قاسى وتحمل متاعب الدنيا لأجلنا أبي العزيز حفظه الله

إلى ينابيع الحياة الإخوة والأخوات

إلى كل الأهل والأقارب إلى أصدقاء الدرب ومن جمعتنا بهم الأيام

إلى كل هؤلاء نهدي ثمرة جهدنا

عصام الدين

يعقوب

شكر وعرفان

قال تعالى: " فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ " سورة البقرة 152

نحمد الله سبحانه وتعالى ونشكره على نعمته علينا ومنحه إيانا الصبر وسعة البال حتى تمكنا

من إنجاز هذا العمل المتواضع، وعملاً بقول سيدنا رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم :

" من لم يشكر الناس لم يشكر الله"

لا يسعنا ونحن نتصفح بحثنا هذا إلا أن نتقدم بجزيل الشكر وخالص التقدير وعرفاناً

بالجميل لكل من ساهم بإثراء هذا العمل وعلى رأسهم الأستاذ المشرف الذي

لم يبخل علينا بتوجيهاته القيمة:

د. عبد الله مقلاتي

قائمة المختصرات:

الرقم	الاختصار	المعنى
1	ت	توفي
2	تح	تحقيق
3	تر	ترجمة
4	تع	تعليق
5	ج	جزء
6	دت	دون تاريخ
7	ص	صفحة
8	ص ص	تعدد الصفحات
9	ط	طبعة
10	م	ميلادي
11	ه	هجري
12	مج	مجلد
13	مر	مراجعة
14	P	Page

مقدمة

مقدمة

مقدمة:

تعتبر الرحلة من بين الأساليب الكتابية التي برع فيها العلماء المغاربة عموما، وعلماء المغرب الأوسط خصوصا في العهد العثماني، وذلك نظرا لتعلقهم وشغفهم الكبير بها، كما كان لهم فيها نصيب أوفر ومتميز، ولعلّ مردّ ذلك إلى حبّ التطلّع الذي كان لدى هؤلاء العلماء من جهة، والاستزادة في طلب العلم من جهة ثانية، والقيام بفريضة الحج إلى بلاد الحجاز من جهة أخرى، كل هذا كان من شأنه أن يكون وفق خريطة طريق مدروسة مسبقا، بغية الاستراحة والاستفادة العلمية والمعرفية.

وعليه عوّل العلماء المغاربة عموما على هذه الرحلات سواء أكانت حجازية أو علمية أو اطلاعيه، وسواء قصرت مدتها أو طالت، بغية تحقيق جملة من دوافع كثيرة حفزتهم للقيام بتلك الرحلات داخلية كانت أم خارجية.

ولا اختلاف بين الدارسين أن الاهتمام بالرحلات قبل العصر الحديث، كان في الغالب مقتصرا على رجال التاريخ، والمهتمين بالجغرافيا والمولعين بأدب المسالك والممالك، أولئك الذين اتبروا الرحلات وثائق تاريخية، وخرائط جغرافية، تؤرخ للفترات التي ظهرت فيها، تحدد الممالك وتبين المسالك، وتصف مختلف جوانب الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية، تبرز العادات والتقاليد، وتصف مظاهر العمران والطبيعة، تتحدث عن الجبال، وتحدد مواقع الوديان والأنهار، لقد كانت بحق خرائط وضعها الرحالون السابقون، ليهتدي بها من بعدهم اللاحقون.

وقد أسهم الجزائريون مساهمة واضحة في كتابة الرحلات ولا سيما خلال القرن الثاني عشر(18م)، وكانت هذه الرحلات إما بهدف الحج مثل رحلة الورتيلاني، أو بهدف طلب العلم كرحلة أبوراس الناصري أو بهدف التجارة كرحلة عبد الرزاق ابن حمادوش، وتنظم هذه الرحلات على شكل قافلة يترأسها قائد يعرف بأمير الركب، وتولى هذا المنصب عدة عائلات من بينها آل الفكون، وقد واجه الرحالة صعوبات أثناء السفر من بينها العوامل الطبيعية الرياح والأمطار أو بشرية كالقرصنة وسرقة المتاع، وبذلك أصبحت هذه الرحلات مصدر مهم في تاريخ الجزائر الحديث.

إشكالية الدراسة:

دوّن الرحالون المغاربة رحلاتهم، والتي هي عبارة عن مذكرات يومية تصور الواقع اليومي المعاش للرحالة، حيث كان تدوين الرحلة في الفترة ما بين القرنين الرابع والتاسع الهجريين، غير أنها

مقدمة

عرفت نوعا من التقلص والجمود بعد تلك الفترة السالفة الذكر، وهذا راجع لاضطراب الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية بسبب الصراع الاسباني والبرتغالي على بلاد الاسلام، لتعود مرة أخرى خلال القرن الحادي عشر وما بعده.

وما يمكن الاشارة إليه هو أن الكثير من الرحلات تعرضت إلى الضياع، ولاسيما الرحلات الجزائرية، ضمن حالة الفوضى والاستقرار الذي مرّ بها نظام الحكم العثماني في بلادنا، ممّا كان له انعكاس واضح على الحركة العلمية والثقافية، جعلها تتصف بالجمود والركود.

من هنا أصبحت الرحلة تمثل ميدانا خصبا للدراسات التاريخية والأنثروبولوجية والأدبية والمقاربات النقدية، وهو ما جعل دارسي التاريخ والأدب يتجهون نحوها لتحليلها ودراستها، حيث تتمثل إشكالية هذا العمل الرحلي في البحث في الجانب الفني والتاريخي والأدبي في الرحلة الجزائرية خلال العهد العثماني، الأمر الذي جعلنا نطرح الإشكال الرئيس التالي: ما هي دوافع الرحلة الحجازية في الجزائر قديما وكيف كانت أوضاعها؟

وبطبيعة الحال، فإنه للجابة على هذا الاشكال لا بد من طرح تساؤلات وإشكالات فرعية كالتالي:

- ما هي الرحلة الحجازية في الجزائر وما أهميتها؟
- ما هي الدوافع التي أدت إلى الرحلات الحجازية في الجزائر؟
- ما هي أهم الرحلات الجزائرية للحجاز ومن هم أشهر الرحالة؟

أهمية وأهداف الدراسة:

تكمن أهمية هذا الموضوع في كونه يرصد ظاهرة دينية في منطلقها (الحج إلى بيت الله الحرام)، لكنها تأخذ أبعادا تاريخية، اجتماعية وانسانية وكذا تجارية وثقافية، كما أن الحج الى بيت الله اعتبر لقرون خلت الوسيلة الهامة في تدعيم التقارب الحضاري والاجتماعي بين الأفراد والمجتمعات الإسلامية، كما أنه مصدرا رئيسا مصادر الإعلام والإخبار بمختلف المستجدات والتطورات السياسية والأمنية الطارئة في العالم الاسلامي.

تأتي هذه الدراسة في إطار تبيان التطور التاريخي لركب الحج الجزائري خلال القرون القديمة، وذلك من حيث تنظيمه وإمارته ومراحل التحضير والإعداد لرحلة الحج، وتوضيح المسارات والمحطات التي كان الركب يسلكها، وتبيين مظاهر التكافل الاجتماعي والتواصل الانساني ضمن الركب، وعلاقة

مقدمة

الركب الجزائري بأركاب الحج المجاورة، والمعيقات الطبيعية والأمنية التي كان الركب يواجهها، وظروف وصول الركب إلى أرض الحجاز، انتهاء بخط العودة وسلامة الركب وعادات استقبال الحجاج، والتعرف على أهم الرحالة الذي شدو رحالهم إلى أرض الحجاز لعدة أسباب سنوضحها في هذه الدراسة.

أسباب اختيار الموضوع:

ربما سبب وقوعنا على اختيار هذا الموضوع كان لدافعين اثنين، أما الدافع الأول فهو ذاتي، وذلك لموائمة طبيعة الموضوع لتخصص الدراسة في مرحلة الماستر الحالية، وذلك من أجل إثراءه بغية الزيادة في هكذا مواضيع.

أما الدافع الثاني فهو دافع موضوعي، وتمثل في الرغبة في المساهمة في إحياء تراثنا ونشره، وبخاصة ما يتعلق منه بتاريخ الجزائر خلال العهد العثماني، وهي الحقبة المعروفة بقلة مصادرها، فكانت دراسة وتحقيق الرحلة الحجازية في الجزائر محاولة منا لإفادة المهتمين بالتاريخ.

المنهج المتبع في البحث:

تم الاعتماد على المنهج التاريخي التحليلي الوصفي، وذلك كون الدراسة فرضت هذا للإجابة على الاشكالية المطروحة، بهدف التوصل إلى حقائق تاريخية وهو الأمر الذي تطلب منا تحليل الوقائع والأحداث، فيما يخص الرحلات الجزائرية إلى أرض الحجا، واعتمدنا على المنهج الوصفي من أجل وصف مظاهر وأشكال التواصل بين الرحالة الجزائريين وأقرانهم من الرحالة المجاورين.

خطة البحث: قمنا بتقسيم بحثنا هذا إلى ما يلي:

مدخل: وذكرنا فيه ماهية وأهمية الرحلة بصفة عامة، والرحلة الحجازية بصفة خاصة، حيث قمنا بتعريف الرحلة من الجانب اللغوي والاصطلاحي مع بعض، ثم عرجنا بعد ذلك لتوضيح أهمية الرحلة في تلك العصور على وجه الخصوص، وأهميتها عامة على وجه العموم.

الفصل الأول: وقد تطرقنا فيه إلى دوافع الرحلة الجزائرية إلى الحجاز، والأسباب التي دفعت بالرحالة آنذاك بالخروج إلى الحج لبيت الله الحرام والتي كانت أسبابا مختلفة ومتنوعة كل حسب ميوله، فمنهم من كانت لديه دوافع دينية وآخر له دوافع علمية بينما آخرين كانت نيتهم جهادية وسياسية بحتة، وهذا ما فصلناه تفصيلا في مضمون الفصل الأول.

الفصل الثاني: في هذا الفصل قمنا بتخصيصه للحديث عن أهم الرحلات والرحالة الجزائريين لأرض الحجاز، حيث كما هو معروف أن الرحلات الحجازية تميزت برحالة كثر دونوا تاريخهم ورحلاتهم بماء من ذهب، ومن بين أشهر الرحالة الذين وقفنا عليهم في دراستنا هذه نجد: أبو راس الناصري والحسين الورثيلاني وكذا ابن حمادوش، وهم من بين الرحالة المغاربة الجزائريين الذي تفننوا في وصف رحلاتهم وسخروا أنفسهم لذلك.

خاتمة: قما في الاخير بطرح خاتمة تضم أهم الاستنتاجات التي خرجنا بها من دراستنا البحثية كإجابة نهاية لتساؤلات واشكالية بحثنا.

أهم المصادر المعتمد عليها في البحث:

قمنا في هذه الدراسة بالاعتماد على مجموعة من المصادر التي تناولت موضعنا من قريب أو بعيد، فكانت متنوعة بين فهارس ومعاجم وكتب الرحلة، إضافة مراجع ودراسات حديثة اهتمت وتناولت بتاريخ الرحلات الحجازية والتي استقينا منها مادتنا ومن أهمها:

- فتح الإله ومنته في التحدث بفضل ربي ونعمته: لمحمد أبو راس الناصر، وهو عبارة عن سيرة ذاتية، ورحلة حجازية علمية وقد أفادنا كثيرا في عرض المناظرات التي جرت بينه وبين علماء المشرق العربي.
- تاريخ الجزائر لأبو القاسم سعد الله: فقد تناول فيه المؤلف كل ما له علاقة بالحياة الثقافية والفكرية والأدبية في العهد العثماني، وقد استعنا به في مفهوم الرحلة الحجازية وأنواعها.
- الرحلة الورثلانية سنة 1179ه/1765م: الموسومة بـ "نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار"، لصاحبها الحسين بن محمد الورثيلاني، وهي من أشهر الرحلات الحجازية الجزائرية وأكثرها فائدة، نظرا لمتنها الطويل (ثلاثة مجلدات)، ولما تضمنته واستفدنا منها كثيرا.
- رحلة ابن حمادوش الجزائري المسماة لسان المقال في النبإ عن النسب والحسب والحال لعبد الرزاق بن حمادوش، وهو أيضا استفدنا منه كثيرا كونه يصف رحلته الحجازية وما قاساه في حياته بمجمل التفصيل.

الدراسات السابقة:

مقدمة

من خلال بعض العمليات الاستقرائية لبعض الأبحاث والرسائل الجامعية التي تناولت موضوع الرحلات الحجازية عند الجزائريين، تبين بأن أغلبها لم يكن موجها لدراسة ركب الحج الجزائري وتفاصيله في حد ذاته، وإنما جاء في سياق مواضيع لها صلة بالحج، ومن بين أهم الدراسات التي تناولت هذا الموضوع نجد:

- ركب الحج الجزائري خلال العهد العثماني (1518-1830م): لأحمد بوسعيد، وهي أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، وهي دراسة سلطت الضوء على الحج إلى بيت الله الحرام خلال العهد العثماني بكل تفاصيله.
- الرحلة الجزائرية في العهد العثماني: للطاهر حسيني، وهي أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في الادب العربي، تناولت الدراسة الحركة الجزائرية للرحلات الحجازية خلال العهد العثماني، وهو ما سهل علينا الانطلاق والشروع في دراستنا ومهدت لنا الطريق.

صعوبات البحث:

لا يخلو جهد علمي من صعوبات ومعيقات تعترض سبيل الباحث العلمي، ويتضاعف حجم هذه الصعوبات في البحث التاريخي القائم أصلا على ثنائية الزمان والمكان المعقدة، وهذا البحث واجهته الصعوبات التالية:

- قلة في الدراسات والمراجع التي تناولت موضوع الرحلات الحجازية في الجزائر مقارنة بمواضيع أخرى.
- ندرة المادة التاريخية التوثيقية ذات الصلة بركب الحج، مثل مراسيم تعيين أمراء الركب وتجديد العهد لهم، أو رسائل التوصية من طرف الحكام وغيرها.
- الظروف الراهنة التي تعيشها البلاد على غرار العالم بأسره في ظل جائحة كورونا كوفيد-19 التي ضيقت علينا وجعلت وقتنا محدود جدا خاصة فيما يخص التواصل مع الأساتذة الكرام احتراما للبروتوكول الصحي المفروض.

هذا ونحمد الله تعالى على ما أنعمه علينا من جهد لإتمام هذه الدراسة، كما نشكر كل من ساعدنا وساهم في بحثنا من قريب أو من بعيد.

مقدمة

مدخل

الرحلة: ماهيتها

وأهميتها

تمهيد:

إن الرحلة قديمة قدم الانسان ذاته، إذ عرفها منذ العصور الغابرة حتى وقتنا هـذا، وإن اختلفـت دوافع الرحيل وتباينت وسائل السفر وتنوعت وتعددت مادة الرحلة، فالإنسان يرتحل من رحم أمـه إلـى دنياه ثم يرحل من مرحلة الطفولة مارا بمراحل عديدة وصولا إلى الشيخوخة ومن الدنيا إلى الآخرة وهكذا من مكان إلى مكان ومن زمان إلى زمان آخر، فالرحلة صديقة الحياة ومواكبة بل ومصاحبة ومزامنة لها في كل وقت وحين، ولا يخفى على أحد ما تحمله من أهمية.

فالإنسان يرى من خلالها عجائب الأمصار والقار المختلفة، فهي تزود بمعلومات مهمة وتجـارب نافعة، وقد برز كثير من الرحالة العرب وغير العرب الذين قاموا برحلات طويلة وألفوا كثيرا من الكتب في ذلك صوروا فيها ما شاهدوه في رحلتهم وما صادفوه في طريقهم، فكانت هذه الكتـب وثـائق هامـة صورت لنا الحياة في تلك الأزمان.

1/ تعريف الرحلة:

1-1- لغة:

ربط مفهوم الرحلة في المعاجم العربية القديمة بوسيلة تنقلهم في تلك الفترة وعي الصواب بصورة عامة، وفي هذا الصدد ورد في لسان العرب: رحل الرجل أي سار وأرحلته أنا، ورجل رحول وقوم رحل: أي يرتحلون كثيرا، ورجل رحال: عالم بذلك ومجيد له، وإبل مرحلة عليها رحالها: هي التي وضعت عنها رحالها، والارتحال معناه: الانتقال.[1]

كما ورد في معجم مقاييس اللغة أن: رحل: الراء والحاء واللام أصلا واحدا يدل على مضيه في سفر يقال: رحل يرحل رحلة، والرحلة والارتحال إذ أضغنه من مكانه.[2]

أما صاحب القاموس، ففيه فرق صاحبه بين الرُحلة بالضم والرِحلة بالكسر فيقول: الرحلة بالكسر هو الارتحال، قوله تعالى: {رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ} قريش: الآية 02.

والرُحلة بالضم الوجه الذي تقصده والسفرة الواحدة، والرحيل كأسير اسم ارتحال القوم ومنزل بين مكة والبصرة ورحلة: تعني الهضبة، وأرحل: كثرت رواحله، وراحله بمعنى عاونه على رحلته.[3]

هذا ما جاء في المعاجم القديمة، أما بالنسبة للمعاجم الحديثة يكفي أن تشير لما جاء في دائرة المعارف على أن الرحلة هي: يرحل رحلا ورحيلا وترحالا بمعنى: ذهابا، فكل هذه المعاني جاءت بمعنى المسير والانتقال والمقصد المراد به هو السفر.[4]

2-1- اصطلاحا:

تعددت مفاهيم الرحلة في الاصطلاح إلا أنها تصب كلها في قالب واحد، فقد عرفها الإمام الغزالي: بأنها نوع مخالطة مع زيادة نقب ومشقة"، بمعنى الاحتكاك بالآخر بعد الجهد والنقب الناتج عن التنقل.[1]

---

[1] ابن منظور، لسان العرب، مج 4، ج24، بيروت، لبنان، ص ص 06-16.

[2] أبي الحسن أحمد بن فارس بن زكرياء: مقاييس اللغة، تح: عبد السلام محمد هارون، ج2، دار الفكر، مصر، 1989، ص 497.

[3] محمد الدين محمد يعقوب الفيروز الأبادي، القاموس المحيط، تج: أنس محمد الشامي، دار الحديث، القاهرة، 2007، ص 626.

[4] محمد فريد وجدي، دائرة المعارف القرن العشرين، دار الفكر، بيروت، دط، دت، مج4، ص 201.

أما بطرس البستاني فيعرفها بأنها: انتقال واحد، أو جماعة من مكان إلى مكـــان آخـــر كمقاصـــد مختلفة وأسباب متعددة.[2]

وفيما يخص فؤاد قنديل فيقول: تعد الرحلة حلقة رائعة ومثيرة من المنظومة الالهية التي تشـــمل الكون وتوجه أنساقه البشرية والطبيعية لتحقيق الميد من المحاولات لاكتشاف الذات الانســـانية واحتـــراق حاجز المسافات الطبيعية لاكتشاف الحياة على الأكوان المختلفة.[3]

وهذا ما جاء في قوله تعالى: {**يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِـــلَ لِتَعَارَفُوا ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ**} الحجرات: الآية 13.

من خلال تحديدنا مفهوم الرحلة في اللغة وفي الاصطلاح تبين لنا أن المفهومين لا يبتعدان كثيرا فهما يشتركان في معنى واحد وهو الحركة، وهذه الحركة تحدد للإنسان فوائد جمة، ولقد أشار إلى ذلـــك المسعودي بقوله: "ليس من لزم وجهة وطنه وقع بما نمى إليه من الاخبار عن إقليم كمن قسم عمره على قطع الأقطار ووزع أيامه بين تقاذف الأسفار واستخراج كل دقيق من معدنه، وإنـــارة كـــل نفســـي مـــن مكمنه".[4]

1-3- الرحلة في القرآن والسنة:

حث الإسلام على الرحلة وشجع الناس عليها كما دعا إلى السفر والسياحة في الأرض طلبا للعلم والمعرفة التي تعود عليهم بالمنافع، فقد ورد ذكره في القرآن الكريم في قوله تعالى: {**إِيلَافِ قُـــرَيْشٍ (1) إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ**} **قريش: الآية 01-02**، فقد ارتبطت الرحلة بعبادة أهل مكـــة وبرحلتـــي الشتاء والصيف إلى الشام واليمن بغرض التجارة.

كما جاء لفظ رُحَلْ في القرآن الكريم بمعنى البعير، وهي مرادفة للرجالة في قوله تعالى: {**فَلَمَّـــا جَهَّزَهُمْ بِجَهَازِهِمْ جَعَلَ السِّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا الْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ**} يوسف: الآية 70.

---

[1] أبو حامد الغزالي، إحياء علوم الدين، دار الشعب، القاهرة، دط، دت، ج6، ص 1080.

[2] بطرس البستاني، دائرة المعارف، مج 8، مطبعة المعارف، دط، بيروت، 1884، ص 564.

[3] فؤاد قنديل: أدب الرحلة في التراث العربي، مكتبة الاسكندرية، ط2، القاهرة، مصر، 2002، ص22.

[4] المسعودي أبو الحسن علي بن الحسين، مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج1، تقديم محمد السويدي، موفم للنشر، دط، الجزائر، 1989، ص03.

كذلك قوله تعالى: {**إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ**} البقرة: الآية 164.

قد حث الله سبحانه وتعالى المؤمنين على التنقل وركوب البحر وذلك بحثا عن الرزق أو للبحث عن المعرفة واكتساب الخبرة.

كما شجع الرسول صلى الله عليه وسلم الرحلة في طلب العلم فقال: " من سلك طريق يلمس فيه علما سهل الله له طريقا في الجنة، وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله وسنة رسوله بينهم إلا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده، ومن بطأ به عمله لم يسرع به نسبه"[1] وهو دليل على أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان يحبذ السفر والترحال في أرض الله الواسعة.

2/ أهمية الرحلة:

نمط الرحلات يتعرض إلى جميع نواحي الحياة أو يكاد، إذا تتوفر فيه مادة وفيرة مثابهم المؤرخ والجغرافيا وعلماء الاجتماع والاقتصاد ومؤرخي الأدب والأديان والأساطير، والرحلات هي بمجموعها سجل حقيقي لمختلف الحياة ومفاهيم أهلها على مر العصور.[2]

تأتي قيمة الرحلات التاريخية من أنها أساسا قامت على التجربة، والملاحظة المباشرة، وهذا واضحا في جميع الرحلات، فالرحالة اعتنوا بالمسالك وقياس مسافات الطرق، وهم بذلك جغرافيون من حيث لم يعلموا، فقد أودعوا في معونات رحلاتهم شيئا كثيرا على أخبار رحلاتهم، حيث وصفوا الطرق التي سلوكها وتسجيل المسافات التي قطعوها، والمعالم التي شاهدوها، بالإضافة إلى الصعوبات التي

[1] محي الدين أبي كرياء يحي بن شرف النووي، صحيح مسلم بشرح النووي، تح: محمد سيد عبد رب الرسول، ج18، مكتبة أبو بكر الصديق، ط1، القاهرة، 2006، ص17.

[2] حسين محمود حسين، أدب الرحلة عند العرب، دار الأندلس للطباعة والنشر، ط2، بيروت، لبنان، 1983، ص06.

واجهوها والمحطات التي نزلوها ونصحوا بسلوك طريق الأمان، فيتجلى في ذلك خلاصة التجربة التي مروا بها ومن ثم قدموها.[1]

ويشير ابن هطال التلمساني في تقاطع الرحلة مع التاريخ قائلا: "فإن التاريخ من أجل العلوم قدر وأكملها محاسن وفخرا، فهو أحد ما يطلق عليه علم العربية، كان أحق مما تتفق فيه الذخائر السنية وتعرف إليه المنهج الزكية إذا به عرفت قدماء الأمم، وبه حفظت مكارم أخلاقهم والشيم.[2]

أما ابن زاكور الفاسي يفيد بقيمة الرحلات بخلاصة "وبعد فإن الرحلة منة من الله ونحلة تكتسب غليظ الطباع، غاية الرقة والانطباع وتعقب من كابد لها نصبا علما غزيرا وأدبا.[3]

كما أشاد بفضل تاريخ الرحالة المغاربة وعلى رأسهم أبوراس الناصر الذي يذكر "فإن البحث عن علم التاريخ بين تقدم بشأن الأدباء الأفاضل وأهل كل طبقة، وجها كل صلة من صلحاء السلف، وحذاق الخلق في كل عصر عصاب هم أهل الإصابة فألفوا وأفادوا وصنفوا وأجادوا وبلغوا من المقاصد قاصيتها وملكوا من المحاسن ناصيتها.[4]

---

[1] عواطف بنت محمد يوسف نواب، كتب الرحالة في المغرب الأقصى مصدر من مصادر تاريخ الحجاز في القرنين الحادي عشر والثاني عشر الهجريين، دار الملك عبد العزيز، 1429هـ/2007م، ص22.

[2] ابن هطال التلمساني، رحلة محمد الكبير باي المغرب الجزائري إلى الجنوب الصحراوي، 1758م، دار السويد للنشر والتوزيع، 2004، ص35.

[3] ابن زكور الفاسي، نشر أزاهر البستان فيمن أجازني بالجزائري وتطوان من فضلاء أكابر الأعيان، المعرفة الدولية للنشر والتوزيع، الحراش، الجزائر، 2001م، ص40.

[4] أبو راس الناصري، عجائب الأسفار ولطائف الأخبار، تح: أ. محمد غانم، المركز الوطني للبحث في الأنثربولوجيا الاجتماعية والثقافية، وهران، الجزائر، 2005م، ص55.

الفصل الأول

دوافع الرحلة الجزائرية إلى الحجاز

تمهيد:

يعد فن الرحلات من أقدم الفنون وأجلها نفعا، ولهذا اهتم به سكان المغرب الأوسط والجزائر فيما بعد، فكان من نتائج ذلك أن تركوا لنا رصيدا هاما يروي رحلاتهم وما شاهدوه خلالها. ولهذا تعتبر الرحلات من أهم المصادر لدراسة تاريخ أي منطقة.

ويحتوي العهد العثماني في الجزائر (1520-1830) على رصيد هام من هذه الرحلات، حيث أصبح الجزائريون أكثر ميلا إلى الترحال والتجوال مشرقا ومغربا داخل الجزائر وخارجها، ومهما حاولنا حصر أسماء هؤلاء الرحالة ورحلاتهم، فإن ذلك يعتبر محاولة يائسة، ويعود ذلك إلى كثرتهم وسكوت المصادر عن ذكر أسماء الكثير منهم، كما أن العديد من الرحلات قد ضاعت ولم يعثر لها على أثر، إلا أن كتب التراجم والسير والتاريخ والأدب تركت لنا كثيرا من أسماء هؤلاء.

المبحث الأول: الرحلات الجزائرية إلى الحجاز:

1/ وضعية الرحلة الحجازية:

لقد كانت الرحلات إلى بلاد الحرمين الشريفين هي المقصد الأول للرحالة الجزائريين فقد أدرك هؤلاء قدسية أرض الحجاز، وعلموا خيرات التوجه إليها فهي باب علمن وسبيل إلى التصنيف، يدون غيرها الحجاج الحكماء مروياتهم وملاقاتهم بالعلماء، لقوله تبارك وتعالى: {لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ}[1]

لكن الجزائريين بالقياس إلى كتب الرحلات المغاربية، كانوا قليلي الإنتاج ولعل ذلك راجع إلى أن عددا من العلماء الذين توزعوا في العالم الإسلامي لم يعودوا إلى الجزائر ليكتبوا ملاحظاتهم إلى مواطنيهم، فلو رجع عيسى الثعالبي ويحي الشاوي وأحمد المقري وأحمد بن عمار وأصرابهم لكتبوا رحلاتهم، ولكنهم لم يفعلوا، ومن جهة أخرى بعض هذه الرحلات كان مختصرا وبعضها مطولا، كما أن بعضها قد كتب شعرا فصيحا أو ملحونا وبعضها قد كتب نثرا مسجوعا أو مرسلا، على أن بعض الرحلات لا تعرف إلا أسماءها وبعضها لم يصل منها إلا القليل غير أن بعضها وصل إلينا كاملا.[2]

وحسب أبا القاسم سعد الله فإن الرحلة الحجازية هي التي يسجل فيها أصحابها انطباعاتهم لما شاهدوه ومعوه، ليس في الحجاز فحسب ولكن في مختلف الأقطار العربية.[3]

إلا أن هذا لا يعني غياب الرحالة الجزائريين، وإنما يعود إلى كون أغلب الرحالة لم يسجلوا مشاهداتهم بسبب غياب حس التدوين،[4] فضلا عن بقاء الكثير منهم في البقاع المقدسة مثل عيسى الثعالبي، وأبو عصيدة البجائي، وخلال العصر العثماني اهتم الجزائريون بصورة خاصة بتدوين رحلاتهم إلى بلاد الحجاز وبلاد الحرمين، وفي التراث رحلتان لأبي عصيدة البجائي ولكنها ضائعة، ورد ذكرهما في رسالة الغريب إلى الحبيب، وهي إحدى مراسلات البجائي إلى أبي الفضل المشدالي.

---

[1] وليد زوهري، أدب الرحالة الجزائريين إلى مكة والمدينة، دراسة وصفية تحليلية، مجلة الدراسات اللغوية، العدد الأول، يونيو 2012، ص 151.

[2] أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج2، ط1، دار الغرب الإسلامي بيروت، 1998، ص382.

[3] M. HADJ-SADOK , A travers la Berbérie orientale du XVIII° siècle avec le voyageur al-Warthîlâni, Revue Africaine, société historique algérienne, 1951.P 320.

[4] وليد زوهري، مرجع سابق، ص 156.

لقد عرف التراث الجزائري كتابة الرحلات الحجازية، والتي إن تباعدت أشكالها وتنوعت أحجامها ونصوصها تبقى رهينة مجموعة من الثوابت تعطيها صفة الانتماء إلى صنف الرحلة.

2/ وصف الرحلة الحجازية:

تقوم أساسا على الوصف وتسجيل ما يجري من أحداث الرحلة، وإن تفوتت قدرات الوصف بين أصحابها وتباعدت قوة الملاحظة والتسجيل بين كتابها وغالبا ما ينصرف هذا الوصف إلى إبراز بعض الأحداث الأساسية التي يقوم عمل الرحلة بها، ويرتكز إليها باعتبارها تشكل مجموعة من الثوابت تركب منها الأحداث وتعطيها صفة التميز على أنها أحداث ووقائع، وتبدأ عملية الوصف على النحو الآتي:

- وصف الاستعداد للرحيل: بما فيه وصف حالة الشوق للذهاب إلى الحج وإلحاحه على قرار الرحيل، والحسم فيه فتبدأ عملية تيسير الأسباب بالبحث على الرفقة وإعداد العدة للسفر بما تلزمه الطريق من أموال، حماية، ثم تأتي لحظة السفر، وبداية الرحلة بتوديع الأهل والأصحاب.[1]
- وصف مراحل الرحلة وذكر مميزاتها، ويقوم فيها الباحث، إن كان السفرني البر يذكر المسالك ووعرتها والطريق وأحوالها، وأماكن النزول والمبيت والأزواد وخصوصيتها، إن كان السفر في البحر فإن الحديث يدور حول ذكر المراسي التي يتم النزول بها، والظروف التي تهيأت للوصول إليها أو الإقلاع منها، والبحث عن المراكب التي هي مهيأة للسفر وكيفية الركوب بها والمعاملة التي يلقاها الراكب فيها.[2]
- وصف الحالة التي كان عليها الراحلين أثناء السفر إما في البحر بالحديث عن المركب ونمط الحياة فيه، وظروف السفر في البحر والجماعة المسافرة على متنه يذكر المقري في وصف رحلته البحرية "فكم استقبلنا أمواجه وجوه بواسر وطارت إلينا من شراعه عقبان كواسر، قد أزعجتنا أكف الريح من وكرها، فسمعنا من للجبال صفيرا وللرياح دويا عظيما... والموج بصفق لسماع أصوات الرياح فيطرب بل ويضطرب، فكأنه يشرب من كأس الجنون".[3]

3/ ركب الحج الجزائري:

---

[1] وليد زوهري، مرجع سابق، ص 153.

[2] نفسه، ص154.

[3] التلمساني، مصدر سابق، ص34.

لا تزال الرحلة إلى الحج بالرغم من أنها لا تكاد تستغرق اليوم سوى ساعات، تحافظ على نظام الجماعات الذي أثبت نجاعته في تسهيل القيام بمناسك هذه الشعيرة، وكانت القافلة أو ما عرف بركب الحج في العصور الماضية حيث كانت الرحلة إلى الحجاز تستغرق شهورا هو الوسيلة المثالية لنقل الجماعات من مختلف المناطق وإيصالها إلى الغاية المقدسة بسلام.[1]

يبدأ الإعداد لركب الحج بفترة زمنية كافية قبل انطلاقه، فأول خطوة هي الإعلان عن موسم الحج، إذ يجوب المعلن الرسمي المدن والقرى للإبلاغ عن انطلاق الاجتماعات لوضع الخطة والتفاصيل العامة للركب، فكانت هذه العملية تتم بين الهيئة الرسمية، والصلحاء من أهل العلم.[2]

المبحث الثاني: دوافع الرحلة الجزائرية إلى الحجاز:

خلق الإنسان عاقلا على غير باقي الكائنات الحية الأخرى، وبالتالي فهو لا يتحرك بما تمليه عليه غرائزه، وإنما يصدر منه العمل بإرادة وقصدية، عن طريق العقل الذي ميزه الله به عن غيره من مخلوقاته، فجعله به يفكر ويتدبر، قبل أن يخطو خطوة في اتجاه أي فعل أو أي حركة، والمعلوم أن الرحلة فعل أساسه الحركة والانتقال من نقطة أولى تمثل الانطلاق إلى نقطة ثانية تمثل الوصول، وهذا يعني أن صاحبها ينطلق ليصل، ويغادر يتجه، من منطلق القصدية القائمة أساسا على الوعي التام بالفعل والحركة، فـ <<الرحلة "حالة عقلية" بمعنى أنها ليست ضربا من تغييب الوعي، بل هي محاولة لإعادة هذا الوعي في صورة قوية[3]>>

وهذا لا يعني أبدا غياب أو انعدام الجانب الوجداني، الذي يعتبر مكونا أساسيا من مكونات الإنسان، وهو ما يفرض على الرحالة أن يكون حاضرا بقوة في رحلته، بجسده، وعقله، ووجدانه.[4]

---

[1] ليلى غويني، التفاعل الثقافي بين دول المغرب في العهد العثماني من خلال الرحلات الحجازية الجزائرية، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث، جامعة الجزائر2، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، قسم التاريخ، 2011/2010، ص55.

[2] نفسه، ص56.

[3] ناصر عبد الرزاق الموافي، الرحلة في الأدب العربي حتى نهاية القرن الرابع، دار النشر للجامعات، القاهرة، ط2، 1999، ص27.

[4] الطاهر حسيني، الرحلة الجزائرية في العهد العثماني – بناؤها الفني أنواعها وخصائصها، أطروحة مقدمة لنيل الدكتوراه في الادب العربي، 2014/2013، ص81.

إن طبيعة الرحلة وعلاقتها بواقعها، وتجليات جميع مظاهر الحياة فيها، من سفر، ومشاهدة، وتواصل مع الآخر، وهي المظاهر التي ينقلها الرحالة من الفعل والمشاهدة الواقعية إلى نص حكائي، تحتم علينا " ربط الرحلة بالظروف الاجتماعية والسياسة، والثقافية، وعدم فصلها عن الحياة"[1]، الجزائرية والمجتمع الجزائري آن ذاك، ما يحتم علينا أن ننطلق في الحديث عن الدوافع التي كانت وراء رحلات الجزائريين الحجازية، ومن الدوافع الأكثر بروزا، والذي نعني به الدافع الديني.

أ- الدافع الديني:

من المعقول جدا أن يكون الدافع الديني من أبرز الدوافع التي حفزت الجزائريين على القيام برحلات عديدة، نظموها شعرا وكتبوها نثرا، والمراد هنا، على وجه الخصوص، تلك التي كان هدفهم منها أداء فريضة الحج، وهي الرحلات التي قادتهم للبقاع المقدسة، تلك البقاع التي يتعلق بها قلب المسلم الذي يبقى طوال حياته ينتظر متشوقا، أن يصبح من المشمولين بقوله تعالى: **{وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا} آل عمران: الآية 97.**

فيتسنى له بذلك التوفيق لإتمام الركن الخامس من أركان الدين، فيؤديه بصدق النية راحلا إلى الله وحده دون غيره، فالجزائريون "لم يسافروا إلا حبا في الله ومن الله، وشوقا في رسوله ﷺ "،[2] وهذا يعني "أن الجزائريين الذين توجهوا إلى الجزيرة العربية ذلك الوقت، لم يذهبوا إليها كجغرافيين، أو مؤرخين، أو سواح، وإنما توجهوا إليها حجاجا، يؤدون الفريضة ويزورون الحرم الآمن، لذلك كانت قلوبهم إلى البقاع المقدسة تسبق أرجلهم، وخيالهم يتجاوز مرمى أبصارهم، وأشواقهم إليها تنسيهم آلام الطريق وعناء السفر".[3]

كانت الحياة الروحية في الجزائر آنذاك متمثلة في الصوفية، واعتقد الناس بها جميعا، المتعلم منهم والجاهل على السوا، فإن التصوف كان في كثير من الأحيان من الدوافع التي دفعت بعض الجزائريين من

---

[1] الحسن الشاهدي، البلدان الآسيوية غير العربية في القرن 8هـ/14م من خلال رحلة بن بطوطة، ضمن "الرحالة العرب والمسلمون"، أعمال ندوة الرباط، وزارة الثقافة الرباط، المغرب، ط1، 2003، ص64.

[2] الحسين بن محمد الورثيلاني، الرحلة الورثيلانية نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط1، 2008، م1، ص16.

[3] أبو القاسم سعد الله، مرجع سابق، ص351.

المريدين والأتباع للارتحال بنية البحث عن شيخ يتبركون به، يجالسونه وينتفعون بدعواته، فيمكنهم من التصوف ويعلمهم أصوله، يعرفهم الحقيقة، ويعلمهم الطريقة، اعتقادا منهم أن من يريد التصوف وتطهير النفس من الضنك والغم، والجلوس مع الله دون هم، فما عليه إلا أن يبحث عن شيخ يأخذ عنه، أو زاهد يتقرب منه، يعينه لبلوغ مراده (التصوف) انطلاقا من قوله ﷺ : "إذا رأيتم الرجل قد أوتي زهدا في الدنيا ومنطقا فاقتربوا منه فإنه يلقن الحكمة"[1]. **(ابن ماجة من حديث أبي خلاد بسند فيه ضعف)**

لذلك فإن نسبة كبيرة من رحلات الجزائريين في هذه الفترة تحمل بين دفتيها أخبار المتصوفة وما يتصل بهم من أحداث، وما يتميزون به من كرامات، حتى أننا لا نكاد نجد رحلة تخلوا من عباراتهم، ومصطلحاتهم، أو تخلوا من ذكر الزهاد والاولياء الصالحين، الذين قصدوا أضرحتهم وتبركوا بها، اعتقادا منهم أنها قربى، من الله تقربهم، وبفضها الخير يعمهم، وقد كان الحديث عن هؤلاء الأولياء في رحلات الجزائريين – خاصة الحجازية منها – بطريقة مباشرة، و في كثير من الأحيان بانبهار روحاني، وفي هذا المقام يمكن الوقوف على ما جاء في رحلة الورثيلاني في معرض حديثه عن الذين التقى بهم ومنهم <<الزاهد في الدنيا المتخلي عنها رأسا سيدي المبروك وسيدي المبروك هو تلميذ الولي الصالح الورع الزاهد سيدي أحمد بن باباس ونجليه سيدي المحفوظ وسيدي الطيب وسيدي المحفوظ كان يرى النبي ﷺ ، وكان أخا لنا نفعنا الله بركاته.

وقد كان سيدي المبروك حينئذ متبتلا منقطعا للعبادة وقد رأيته كأنه خارج من قبره تعلوه صفرة وقد ظهر أثر التراب على وجهه>>.[2]

ولقد كان للاحتفالات الموسمية، وانتشار ترديد الأشعار والمدائح النبوية، في الاحتفالات الدينية، دورها الكبير كذلك في إثارة النفوس، وتحريك المشاعر والانفعالات الروحانية، ما يجعل مسارات رحلات هذه الفترة، مسارات مبنية أساسا على الأساس الديني، الذي يقرب من الخير وينفر من الشر، يرغب فيما ينفع ويرهب مما يضر، انطلاقا من أخلاق دينية سامية.

---

[1] عاطف جودة نصر، شعر عمر بن الفارض، ص10.

[2] الحسين بن محمد الورثيلاني، مرجع سابق، ص15.

وهو ما يجعل المرتحل يندفع نحو الرحلة مطمئنا أنه في الطريق الصحيح، << فلا يعبأ بما يواجه من أخطار في طريقهم، أو بما يقدم عليه من الغربة والبعد عن الأهل والوطن، لأن الرحلة بهذا المفهوم تصبح واجبا دينيا، تهون في سبيله كل التضحيات>>.[1]

ورغم ما يعانيه الرحالون من مخاطر الطريق، ومشقة السفر، إلا أنهم مجرد وصول الرحلة إلى نقطة النهاية، بانتهاء المناسك أو إتمام الزيارات، تتحرك فيهم قبل المغادرة الرغبة في العودة مجددا إلى الأماكن الطاهرة، والبقاع المقدسة، فيسعون إلى ذلك جاهدين، ولعل هذا ما يفسر تعدد الرحلات الحجازية والزيارية، وبروزها أكثر من غيرها من الرحلات عند الجزائريين والمغاربة عموما.

ب- الدافع العلمي:

لقد كان وما زال إلى اليوم، طلب العلم رغبة هذا الإنسان على وجه الأرض، يسعى إليه جاهدا لا يبالي بالصعاب، ولا يفشل أمام العراقيل، ولا يعترف معه بالمستحيل، ينفق من أجله الأموال، ويهجر الأهل والأولاد.

وطلب العلم – بشرطه الوحيد أن يكون نافعا – كما هو معروف عندنا نحن معشر المسلمين، فرض أوجبه الدين، وأقرته الشرائع، ومن هذا المنطلق نظر إليه أسلافنا الذين "كانوا يعدون الرحلة في سبيل العلم من شروط الكمال فيه، بل كانوا يعدون الرحلة للقاء الرجال من شروط الوجوب، فكانوا يقطعون البراري والصحاري والقفار، ويلقون في سبيله المعاطب والأخطار..."،[2] ويؤكد الرسول ﷺ ذلك حين قال في حديث واضح، جلي وصريح: "طلب العلم فريضة على كل مسلم".[3]

بل إن الإسلام مجد العلماء، ورفع من شأنهم، وقدس مكانتهم، واعتبرهم أقرب الناس للأنبياء حتى أنهم أصبحوا كما جاء في حديث الرسول ﷺ ، ورثتهم " وإن العلماء ورثة الأنبياء، وإن الأنبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما، إنما ورثوا العلم، فمن أخذه أخذ بخط وافر"[4]، وتؤكد ذلك العديد من آيات الذكر

---

[1] محمد البشير الإبراهيمي، عيون البصائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، دط، دت، ص216.

[2] محمد البشير الابراهيمي، مرجع سابق، ص216.

[3] بدر الدين أبو عبد الله الزركشي، اللآلئ المنثورة في الأحاديث المشهورة، تح: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، د ط، د ت، ص43.

[4] محي الدين أبو زكريا بن شرف النووي، رياض الصالحين، تح: أحمد أبو زينة، المكتبة العصرية، صيدا بيروت، لبنان، ص396.

الحكيم كقوله تعالى: { **يَرْفَعِ اللّهُ الّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ ۚ وَاللّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ**}. **سورة المجادلة: الآية 11.**

قديما وحديثا، تنقل الناس وسافروا، ورحلوا، وتغربوا طلبا للعلم، ورغبة في تحصيله، وسعيا لاكتسابه والنبوغ فيه، دافعهم إلى ذلك ومشجعهم، قوله ﷺ :" من سلك طريقا يلتمس فيه علما سهل الله له طريقا إلى الجنة"، في إشارة واضحة إلى ضرورة أن تضرب فئة منا في الأرض، بحثا عن المعرفة وتحصيلا للعلم فلا غرابة عندما نجد أن رجالا من المسلمين يرتحلون إلى أقصى الدنيا، بحثا عن حديث أو حل لمسألة فقد رحل اللغويون والنحوين ورواة الشعر، إلى القبائل الخالصة للأخذ عنها، ورحل المحدثون إلى الصحابة، لأنهم عايشوا النبي ﷺ وأخذوا من فمه، ورووا عنه معاينة، ثم رحلوا إلى من أخذ عن أفواه هؤلاء الصحابة، ومن ثم صغروا من شأن من يأخذ من الكتب، وسموهم الصحفيين، وجعلوا من الرحلة إلى الشيوخ ما يشبه الفريضة.[1]

وتحدثنا كتب الرحلات وغيرها، عن العديد من الرحالين الذين ارتحلوا في سبيل العلم، "كانوا يقطعون البراري والصحاري والقفار، ويلقون في سبيله المعاطب والأخطار، وكانوا يجوعون في سبيله ويعرون، ويظمأون ويضحون، لا يشتكون الفاقة والنصب، ولا يعدون الراحة إلا للتعب".[2]

لقد تكبدوا المشاق، وقطعوا المسافات الطوال من أجل العلم، ويكفي أن نشير في هذا الصدد إلى مثال فقيه أندلسي، هو أسعد الخير الأنصاري الأندلسي، (ت541هـ) الذي نعت بالصيني، لارتحاله إلى تلك البلاد النائية،[3] والحقيقة أن الاسلام بتعاليمه وتوجيهاته في بناء حياة المسلم، ركز كثيرا على العلم الذي يعتبر ثمرة العقل الذي يتميز به هذا الإنسان، وهذا ما خلق بين المسلمين تنافسا للوصول إلى هذا العلم واكتساب المعرفة بأنواعها، فتعددت أسفارهم، واختلفت وجهاتهم، كما تباينت توجهاتهم، إلا أن القاسم المشترك بينهم بقي السفر.

---

[1] حسين نصار، أدب الرحلة، ص34.

[2] محمد البشير الابراهيمي، مرجع سابق، ص216.

[3] عبد الفتاح كليطو، الحكاية والتأويل، دراسة في سرد العربي، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، د ط، د ت، ص15.

لقد ارتبط طلب العلم بالدين ارتباطا وثيقا، بل أنه مطلب إسلامي أمر به الله تعالى عباده المؤمنين فقال: { **فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ} التوبة: الآية 122.**

ما يجعل التداخل بين الدافع الديني، والدافع العلمي في الرحلة يعتبر أمرا طبيعيا، ولعل هذا ما يفسر بروز الرحلة لطلب العلم بشكل واضح عند الجزائريين والمغاربة عموما، وتلك حقيقة ثابتة أقرها العديد من الدارسين المهمين بالتاريخ لأدب الرحلات، فكراتشوفسكي يرى أن طابع الرحلة في طلب العلم طغى على ما عداه من أنواع الرحلات في المغرب منذ القرن السابع الهجري، وقد اتسع نطاق انتشاره على مدى القرون، حتى بلغ الأوج بوجه خاص في العهد التركي.[1]

ولما كانت حياة الإنسان قائمة على الضد، فإن الجهل الذي سيطر على الحياة وانتشر في العهد العثماني مثلا، كان لا بد أن يخق معه اتجاه آخر يقابله، وفي نفس الوقت يقاومه، وهو ما تجلى فعلا في ذلك الاتجاه الذي تاق فيه أصحابه إلى العم، فرحلوا إليه هاجروا من أجله، وفي نيتهم اكتساب والانتفاع به، ثم بعد ذلك تقديمه ونفع الغير به، وهو ما فعله الفكريين، الذي شد الرحال طالبا للعم في رحلة دامت عشرين سنة قضاها متنقلا بين بلدان مختلفة، فقد "جال في ملك الله إلى أن توغل في أرض السودان، ولقي بها أجله من علماء، وعندما رجع إلى بلاده، أخبر بغرائب ما شاهد، وعجائب ما رأى وما أخذ من أولئك العلماء، وأرباب الأسرار وحصل منهم فن القراءات، وجانبا عظيما من الأدب"،[2] ولا نتعجب عندما نجد بعضا من الرحالة، من كتب رحلة علمية بحتة، كأبي راس الجزائري، الذي ركز في رحلته على ذكر المشايخ والعلماء، والمسائل التي كان له فيها معهم صولات وجولات، ومناقشات ومناظرات، دون أن نجد في رحلته وصفا لطبيعة، ولا وصفا لطباع، ولا ذكرا لعادات ولا تعريفا بتقاليد، ولا حديثا عن بحار ولا عن أنهار.

والمعلوم أن العلوم التي سيطرت على الرحلات الجزائرية في العهد العثماني، هي العلوم الدينية واللغوية بالدرجة الأولى، أما باقي العلوم الأخرى كالفلك والرياضيات والطب وغيرها، فقد كان الاهتمام بها أقل، ولم نجد لها صورة واضحة إلا في بعض الإشارات في رحلة ابن حمادوش الجزائري.

---

[1] حسين نصار، مرجع سابق، ص34.

[2] أبو القاسم سعد الله، مرجع ثقافي، ص397.

والحديث عن الرحلة العلمية في حقيقة الأمر، لا يستقيم دون الحديث عن منارات العلم وحواضره، والتي كما هو معلوم تركز انتشارها في بلاد المشرق، وعليه فإن وجهة الرحالين من أصحاب الرحلات العلمية، كانت في أغلب الأحيان نحو المشرق العربي، فقد صار من المألوف أن تتجه الرحلة في أغلب الأحوال إلى الشرق، للتلمذة والأخذ عن علمائه، وهذا شيء طبيعي ومشروع، فالشرق منبع كل فضيلة ومنه شع قبس العلوم والمعرفة.[1]

وهذه الحقيقة تفرض علينا الاعتراف بفضل المشارقة على المغاربة، ذلك أن تأثيرهم فينا واضح ولا ينكره أحد، إلا أن هذا لا يجب أن يفرض علينا تكريس عقدة الأستاذية المطلقة لعلماء المشرق على نظرائهم المغرب، والتي ما زالت إلى اليوم تعشعش في عقول البعض، فالواقع يشهد على أن كثيرا من علماء المغرب، كانت لهم مكانتهم واحترامهم عند علماء المشرق، وتكفي الإشارة هنا إلى محمد أبي راس الجزائري صاحب "فتح الإله ومنه في التحدث بفضل ربي ونعمته"، الذي رحل إلى مصر متسلحا بعلمه، وناظر بعض علمائها وتفوق عليهم، فاعترفوا بعلمه، وعظموا من شأنه.[2]

ولا يجب أن يفهم من هذا الكلام أن جميع المغاربة كانت وجهتهم بلاد المشرق حين رغبوا في طلب العلم، بل أن فيهم من كانت وجهته منارات العلم في بلاد المغرب، وهذا يعتبر أمرا عاديا، فمن الطبيعي أن نجد من الرحالة طالبي العلم من لم تكن وجهتهم بلاد المشرق، بل اكتفوا بطلبه أو تقديمه في بلاد المغرب، وهذا ما نجده عند بعض الجزائريين الذين ولوا وجوههم في رحلاتهم شطر تونس والمغرب، تارة كمحطتي عبور، وأخرى كنطتي وصول وإقامة.

وهذا ما فعله الفكيرين المذكور آنفا والذي مكث بقسنطينة مدة من الزمن ثم ارتحل منها "لمظلمة أصابته منها وذهب إلى تونس واستقر بها مدة وانتصب للتدريس بالزيتونة"،[3] ومثل هذا الصنيع يعبر بحق عن طينة العلماء، فالرجل كما نرى، طل العلم وسعى إليه، ولما أدركه لم يبخل به على غيره، فمن عادة طالبي العلم أن يسيحوا في البلاد للقاء الشيوخ، ومجالسة العلماء، والاطلاع على الكتب وزيارة الأولياء،

---

[1] الحسن الشاهدي، مرجع سابق، ص80.

[2] محمد أبو راس الناصري، مرجع سابق، ص119.

[3] أبو القاسم سعد الله، مرجع سابق، ص397.

ومنهم من كان إذا حصل القسط الوافر من العلم، فإنه يطوف في الأقطار الإسلامية ليلقى العلماء، ويعلم ويدعو ويفقه تلبية أيضا للدعوة الكريمة: "خيركم من تعلم العلم وعلمه".[1]

ت- الدافع الجهادي والسياسي:

إن الحديث عن الدافع الديني والعلمي، لا يجب أن يحجب عن أعيننا العامل السياسي، الذي فرضته طبيعة الحياة السياسية المطربة داخليا، والمتدهورة خارجيا مع بعض الدول الغربية، التي كانت من أكبر المتربصين للوطن، لقد كانت هذه الأوضاع من العوامل التي حتمت على ابعض القيام برحلات من نوع خاص، نعني بها تلك الرحلات الرسمية التي قام بها بعض الحكام بدوافع مختلفة، تأديبية تارة، وجهادية تارة أخرى، وهي الرحلات التي دون أحداثها مرافقون لهم، يختارونهم حينا ويقومون بذلك بمحض إرادتهم أحيانا أخرى، وعادة ما يحرص هؤلاء على تسجيل أحداث الرحلة تحت إشراف الحاكم المرتحل، ويعتبر محمد الكبير باي الغرب الجزائري، من شهر الشخصيات التي اهتم بها الجزائريون، وكتبوا عنها، وتتبعوا حركاتها وتنقلاتها، ودونوا سيرتها، إعجابا بها وتقديرا لعلمها، واعترافا بفضلها، فالرجل "بمجرد جلوسه على كرسي الحكم وتعيينه بايا، شرع في إصلاح شؤون الرعية، والسهر على مصالح العباد وتنظيم البلاد، فراح ينشر الأمن ويؤلف بين قلوب الناس، وبادر بإخضاع القبائل المتمردة على الحكم التركي مثل قبيلة "أولاد علي بن طلحة" وقبيله "الحشم" وقبائل "فليتة" و"حميان" و"عمور" وجميع قبائل "بني راشد" وبعض القبائل التي كانت مقيمة على الحدود المغربية تحترف اللصوصية، وقطع الطريق على المسافرين، فانتصر على الجميع، وأخضعهم للحكم التركي، وملأ خزينته بما أدوا له من الضرائب كما أدخل بعضهم في المخزن فأصبحوا له منقادين، ولحكومته مخلصين".[2]

هنا، يمكن الإشارة إلى رحلته الموسومة برحلة محمد الكبير باي الغرب الجزائري إلى الجنوب الصحراوي الجزائري، هذه الرحلة كما هو معلوم قام بها هذا الباي ودون أحداثها ابن هطال التلمساني، أما الدافع إليها فقد كان تأديب القبائل المارقة التي لم تخضع للسلطة العثمانية أو تمردت عليها، بغرض

[1] فؤاد قنديل، مرجع سابق، ص38.

[2] ابن هطال التلمساني، مصدر سابق، ص17.

تعزيز سلطة الدولة وإبراز هيبتها، ولا شك أن رحلة رسمية كهذه لا بد أن تكون قائمة على دراسة دقيقة، وعليه لا نشك أبدا أن هناك أهدافا أخرى من ورائها قد تكون غير معلنة.

خلاصة:

لم يكن الجزائري يكتفي بزيارة واحدة إلى هذه الأماكن، بل قد يكرر هذه الرحلة مرات عديدة، فالورتلاني كان قد حج ثلاث مرات، أما عبد الكريم بن الفكون القسنطيني فكان يلي إمارة ركب الجزائر في الحج.

وإذا كان بعض الجزائريين يفضلون الرجوع إلى بلادهم، فإن بعضهم الآخر وبدافع الشوق يفضلون الاستقرار نهائيا في بلاد المشرق عامة والحجاز بالخصوص. وهناك كثير من هؤلاء الذين نالوا حظوة وتقديرا لدى السكان، وبرزوا في شتى ميادين العلوم، ومنهم علي بن والي بن حمزة الذي برع في علم الرياضيات وتوفي في مكة المكرمة، ومحمد بن عبد الرحمن البوني الذي اشتهر في الأدب وتوفي في بلاد الحجاز، غير أن من أبرز العلماء الجزائريين الذين استقروا نهائيا في بلاد المشرق كان أحمد بن محمد المقري التلمساني صاحب كتاب "نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب"، والذي ولد بتلمسان، ثم رحل إلى المغرب، ومنها توجه إلى مصر ثم إلى الحجاز حيث أدى فريضة الحج خمس مرات، وكان يلقي دروسا، وزار بيت المقدس ودمشق، وتوفي بالقاهرة، ولم يقتصر هذا الوضع على الرجال فقط بل تعداه إلى نساء جزائريات برعن في شتى العلوم ومنهن صفية بنت محمد أو أم الحياء البسكرية التي استقرت بالمدينة المنورة وبرعت في علم الحديث.

الفصل الثاني

أهم الرحلات الجزائرية

إلى الحجاز

تمهيد:

تعتبر الرحلة من بين الأساليب الكتابية التي برع فيها العلماء المغاربة عموما، وعلماء المغـــرب الأوسط خصوصا، وذلك نظرا لتعلقهم وشغفهم الكبير بها، كما كان لهم فيها نصيب أوفر ومتميز. ولعـــلّ مردّ ذلك إلى حبّ التطلّع الذي كان لدى هؤلاء العلماء من جهة، والاستزادة في طلب العلم من جهة ثانية، والقيام بفريضة الحج إلى بلاد الحجاز من جهة أخرى، كل هذا كان من شأنه أن يكون وفق خريطة طريق مدروسة مسبقا، بغية الاستراحة والاستفادة العلمية والمعرفية.

وعليه عوّل العلماء المغاربة عموما على هذه الرحلات ســـواء أكانـــت حجازيـــة أو علميـــة أو اطلاعيه، وسواء قصرت مدتها أو طالت، بغية تحقيق جملة من دوافع كثيرة حفزتهم للقيام بتلك الرحلات داخلية كانت أم خارجية.

المبحث الأول: رحلة أبو راس الناصري:

إنّ رحلة أبي راس المسماة" رحلتي للمشرق والمغرب" كتاب في السير والتراجم الشخصية؛ حيث لم يخصصه المؤلف لرحلته فحسب كما قد يتبادر إلى الذهن عند الاطلاع على العنوان، بل أورد فيه أبوابا وأسئلة فتوى، ضمنها فوائد جمّة فيها من الأدب ما فيها، واللغة والنحو والتاريخ، والفقه والنوازل والفتاوى. وعليه فرحلته هاته إنما هي جزء من كتابه " فتح الاله ومنته في التحدث بفضل ربي ونعمته".

ونظرا لأهمية رحلته حاولنا أن نسردها تفصيلا حتى تعم الفائدة، وتزداد الأنظار إمعانا وتدقيقا.

أولا: مولده:

ولد أبو راس محمد بن أحمد بن الناصر الراشدي، عام 1150هـ/1737م ، بقلعة بني راشد قرب مدينة معسكر بالغرب الجزائري، بين جبل كر سوط وهونت، في منتصف القرن الثني عشر للهجرة، وفي هذا يقول أبو راس عن مولده: "ولما ولدت بالموضع المار حملتني أمي، ووالدي إلى الشيخ الصالح الولي، الذي كاد أن يكون كالشيخ الجيلي، شيخ بعض شيوخي الشيخ بن موسى اللبوخي فبارك عليه وأخبرني بغيب خوارق وعادات تكون لي مودات من علم وعمل وصلاح، وغنى وحفظ وإصلاح، وشيخ طلبة، لفيف ودرس وخطابة وقضاء وتصنيف" .ولأبي راس أخوين وأخت، فالأخوين هما: السيد عبد القادر ، والسيد بن عمر ، وهو الأخ الأكبر لأبي راس، وأخت اسمها حليمة.

ولذا فإن مولد أبي راس يعد بمثابة إشعاع علمي ظهر بمعسكر خصوصا وبالجهة الغربية عموما، إن لم نقل للعالم العربي كله، وهو ما دفع ببعض الباحثين والمؤرخين من أن يفردوا فصولا عن سيرته الذاتية، مثل: محمد بن عبد الكريم الجزائري الذي أقدم على تحقيق واحد من نفائس مخطوطات أبي راس المندسية والنادرة في نفس الوقت. بالإضافة إلى عدة أجانب مثل: الجنرال فوربيقي، والباحث: أرنود الذي ترجم فصولا عن رحلته .

ثانيا: شيوخه وإجازاته:

إنّ شخصية أبي راس شخصية فذة؛ تعتز بها الدولة الجزائرية على وجه العموم والجهة الغربية من البلاد على وجه الخصوص، لما تمتاز به من دقة وتحريات للتواريخ الهامة ولا سيما فترة التواجد العثماني بالجزائر من جهة وصراعها مع الأسبان من جهة أخرى وممّا لا شكّ فيه فإنّ هذه الشخصية الكبيرة في أذهان المؤرخين والباحثين، والصغيرة بالنسبة للمنكرين والغير المبالين.

فإنّ أبا راس كسابقيه من العلماء تتلمذ على يد عدة شيوخ كان لهم الفضل الكبير في بروز شخصية فريدة من نوعها استطاعت بذكائها وكتاباتها التاريخية أن تحظى باهتمام الخلفاء في عصره ثم المؤرخين والباحثين من بعده. وقد أخذ أبو راس العلم على يد مجموعة من الشيوخ والعلماء والفقهاء الأجلاء الذين أثروا في ملكة أبي راس الفكرية والمعرفية، فأجيز وأجاز.

ثالثا: شيوخه:

لعلّ من أبرز الشيوخ والعلماء الذين كانوا مصدر معرفة أبي راس الناصر، والذين كانوا بمثابة الحصن الحصين لتكوين ملكة أبي راس العلمية والمعرفية، هؤلاء العلماء الذين تفانوا في تعليم أبي راس والحرص على تكوين شخصيته، والذي بلغوا حوالي واحد وأربعين عالما، أخذ عنهم فنونا مختلفة، ولعل من أهمهم نذكر منهم على سبيل المثال:

1/ والده الشيخ أحمد بن أحمد: كما تقدم ذكره هو الشيخ احمد بن احمد بن الناصر ينتهي نسبه إلى السيدة فاطمة بنت محمد صلى الله عليه وآله وسلم (عبر خمسة عشر جدا)، أخذ عليه–أبو راس– معظم المصحف الشريف بداية من سورة الانفطار "إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَت" إلى غاية الآية: 253 من سورة البقرة، والتي مطلعها "تِلْكَ الرُّسُلُ" .

وما شد انتباهي هنا وأنا أتفحص سيرته الذاتية، أن تواجده وسط أسرته القرآنية هو الذي جعله يختصر المراحل الأولى من تعليمه حتى الحروف منها، فحفظ القرآن الكريم عن ظهر قلب.

2/ الشيخ عبد القادر المشرفي: هو الشيخ عبد القادر بن عبد الله المشرفي الذي كان يدعى بشيخ الجماعة وإمام الراشدية، ولد ونشأ بقرية الكرط قرب ولاية معسكر، تثقف على يد علماء المنطقة وبعدها عين مدرسا بمعهد الشيخ محيي الدين في زاوية القيطنة بوادي الحمام مدة من الزمن، وقد شارك في مقاومة نصارى الإسبان بوهران ، والف رسالة شهيرة كما عدد وندد بالقبائل المتعاونة معهم، توفي رحمه الله سنة 1192هـ/1778م بضواحي معسكر.

3/ الشيخ السيد العربي بن نافلة: هو الشيخ بن العربي بن نافلة الذي أفنى عمره بين تلاوة القرآن ودراسة العلم ، صاحب الأصول والفروع، حافظ امعاني شيخنا سيدي خليل بن إسحاق المالكي، قرأ عليه المختصر ثلاث ختمات في ثلاث سنوات كما درس شيخنا على يد ابنه السيد أحمد بن نافلة، فكان هذا الأخير يفهمه كل ما أشكل عليه من فهمه في مجلس أبيه.

4/ الشيخ محمد الصادق بن أفغول: كان من أجلاء أشياخي شيخنا، خبيرا بعلم الشريعة جامع بين العلم والدين، صاحب مدرسة مازونة الشهيرة، يقول عنه أبو راس: "انتهت إليه رئاسة التدريس، وشدت إليه الرحال من زواوة وغريس". كان جامعا للفنون وعلومها، وبارعا في معرفة الحديث على أهله منفردا بهذا الفن النفيس في زمانه.

5/ الشيخ محمد بن جعدون قاضي مدينة الجزائر: هو شيخ الجماعة بالجزائر ابن عبد الله محمد، يقول عبد الحي: "وقفت على إجازة الشمس له الحنفي له بالطريقة بتاريخ 1171م، وله ثبت نسبه له الشيخ السنوسي".

6/ الشيخ القاضي عبد الرحمن التلمساني: هو الشيخ محمد بن عبد الرحمن التلمساني القاضي من نسل عالم المذاهب الأربعة الشيخ أحمد بن الحاج المانوي، رحل إلى مصر أخذ عن السّمان ومحمود الكردي.

7/ الشيخ المفتي أحمد بن عمار: هو الشيخ أحمد بن عمار بن عبد الرحمن بن عمار الجزائري، اشتغل بالحديث والتاريخ، ولد ونشأ بمدينة الجزائر وولي الافتاء بها، له الرحلة الحجازية وغيرها من المؤلفات.

رابعا: تلامذته:

بحكم ثقافته الموهوبة وهو الذي كان يلقب كما أسلفنا بالحافظ، لا جرم أنه ترك للمجتمع الجزائري المثقف تراثا غنيا عن التعريف والمتمثل في جملة من التلاميذ درسوا وتعلموا على يد شيخنا سيدي أبا راس ليتحولوا إلى علماء عظام ممتطين بساط شيخهم ومنوهين بعلمه وفضله، وهذا بطبيعة الحال فضل المتعلم على المعلم، ومن جملة هؤلاء التلاميذ نذكر على سبيل المثال لا الحصر طائفة منهم:

1/ الشيخ أبو حامد العربي المشرفي: هو العربي بن علي بن عبد القادر المشرفي الحسني الغريسي حفيد عبد القادر المشرفي شيخ أبي راس الناصر المعسكري وصاحب الكتيب الموسوم بـ "بهجة الناظر" ولد العربي المشرفي بغريس بنواحي معسكر.

2/ الشيخ العربي بن السنوسي: هو محمد العربي بن السنوسي، كان يدرس القرآن الكريم برواية ورش، وسائر الفنون، أخذ عنه محمد بن علي السنوسي وولده سيدي محمد.

3/ الشيخ محمد السنوسي (1202هـ/1276م): هو أبو عبد الله محمد بن علي السنوسي الخطابي الحسيني الإدريسي مؤسس الطريقة السنوسية، ولد في مستغانم، ونشأ في بيت علم ودين وفضل فدرس علوما متنوعة من بين تآليفه: الدرر السنية في أخبار السلالة السنوسية (مطبوع)، والمسائل العشر

المسماة: بغية المقاصد وخلاصة المراصد (مطبوع)، والشمس الشارقة في أسماء مشايخ المغاربة والمشارقة . ولذا نجد محمد بن عيسى السنوسي يقول: "...ومنهم شيخنا وشيخ مشيختنا الهمام والحافظ، الإمام سيدي محمد أبو راس (الناصر المعسكري) المعسكري البلد، الناصري المحتد رحمه الله، كنت اتردد إليه. "

4/ الشيخ محمد المصطفى بن عبد الله (ت 1215هـ/ 1800م): هو الشيخ محمد المصطفى بن عبد الله بن زرفة الدحاوي من شرفاء غريس، وكان كاتبا للباي محمد بن عثمان، ومساعدا لرئيس رباط غيفري للطلبة قرب وهران وشارك بنفسه في الهجوم الشامل وتحرير مدينة وهران التحرير الثاني والنهائي عام1792م كما عين ابن زرفة قاضيا بها (وهران) إلى غاية (1800-1801م).

5/ الشيخ عثمان الموسوي الهزاري (ت1238هـ): هو ابو عمرو عثمان بن محمود الهزاري نسبا، القادري طريقة، البغدادي منشأ و موطنا، قدم من بغداد و استقر بمدينة تازة المغربية فعرف ب:"التازي"،أجازه أبو راس بثبته "السيف المنتضى فيما رويته بأسانيد الشيخ المرتضى" والمرتضى الزبيدي أيضا من شيوخ أبي عمرو، ولكن أغفل عن ذكره في كتابه :"المعجم المختص"، و ممن أخذوا عن أبي عمرو العلامة الصوفي أبو عبد الله محمد الهاشمي بن الحاج علي بن أحمد الصادقي الرتبي الفاسي، وقد أجازه بسنده، وأسانيده مذكورة في الثبت الذي جمعه تلميذه وسماه:" الفتح الوهبي فيمن أجاز لأخينا الحاج الهاشمي الرتبي" وفي هذا الثبت مجموعة من اسانيد تتصل بأبي راس المعسكري بواسطة تلميذه عثمان بن محمود الموسوي المتوفي سنة 1238هـ.

6/ الشيخ عبد القادر بن السنوسي: هو العلامة السنوسي بن عبد القادر بن السنوسي بن عبد الله بن دحو بن زرفة، ومما مدح به شيخه أبي راس:

ذاك"أبو راس" ناصر الدين الناصري طلاع الثناي

ان صعد الكرسي تعرف سموه فاطلبه قبل طلب المنايا

ولاتسر اليه ذا توان كم متوان حرم العنايا

بل لاتسر اليه الا جدا تفد وتكسي حلل الهنايا

فهو المجدد من غير مين أصلح ما كان من الجنايا

عوضنا الله به السيوطي فاعتدنا منه شيما سنايا

خامسا: آثـــاره العلـــمية:

لقد خلف أبو راس كتبا كثيرة في مجال التاريخ وغيره، بعضها موجود وبعضها مفقود، وقد ذكر أن مجموع تآليفه بلغت نحو الخمسين كتابا في التفسير والتاريخ والأدب والتراجم والرحلات. وهناك من قال أن ما ألفه بلغ نحو 63 كتاباً، ونسب اليه 137 مصنفاً في مختلف الأغراض، بين كبير وصغير، وبين تأليف وشرح وتعليق وتلخيص منها ما نشر ومنها ما زال محفوظا، ومنها ما يعتبر في حكم المفقود.

ففي علم التفسير وعلوم القرآن مثلا: كتاب مجمع البحرين في ثلاثة أسفار، وتقي علـــى نظـــم الخراز في الرسم، والدرر اللوامع، وفي الحديث: كتاب مفاتيح الجنة وأسناها في أحاديث اختلف العلماء في معناها، والسيف المنتضى فيما رويت بأسانيد الشيخ مرتضى، والآيات البينـــات فـــي شـــرح دلائـــل الخيرات، وفي الفقه: حاشية عقد الحواشي على جيد شرحي الزرقاني والخرشي في ستة أسفار، المدارك في ترتيب فقه الامام مالك، والأحكام الجوازل في نبذ من النوازل.

وفي علم الأصول: تشنيف الاسماع في مسائل الاجماع وحاشية على شرح المحلى لجمع الجوامع، وقاصي الاوهاد في مقدمة الاجتهاد، وفي علم الكلام والتوحيد: كفاية المعتقد ونكاية المنتقد، وهو شـــرح العقائد الكبرى للإمام محمد بن يوسف السنوسي، وأنوار البرجيس بشرح عقد الجمان النفيس لأبي زيد عبد الرحمن التجيني.

وفي التصوف: الزهر الأكم في شرح الحكم أو فتح الاله في التوصل إلى شرح حكم ابن عطـــاء الله، كتاب الحاوي لنبذ التوحيد والتصوف والأولياء والفتاوي، وله في النحو: الـــدرة اليتيمـــة، الحاشـــية الكبرى على شرح المكودي، والنكت الوافية بشرح المكودي على الألفية، وعمدة الزاب في اعراب" كـــلا شيء وجئت بلا زاد"، نفي الخصاصة في احصاء تراجم الخلاصة، وله في اللغة: كتاب ضياء القـــابوس على كتاب القاموس، وله ضابط اختصره من الأزهري على قواعد القاموس والجوهري.

وله في الأدب: شرحان على مقامات الحريري اطلعنا عليهما بالمكتبة الوطنية الجزائرية، البشائر والآسعاد في شرح بانت سعاد، ونيل الارب في شرح لامية العرب، وله في علم البيان: كتـــاب الأمـــاني

على مختصر سعد الدين التفتزاني، وفي المنطق: كتاب القول المسلم في شرح السلم، وفي العروض: شرح مشكلة الأنوار التي يكاد زيتها يضيء ولوم لم تمسسه نار.

أما في ميدان التاريخ فهي كثيرة ومتنوعة، منها: زهر الشماريخ في علم التاريخ، كتاب الوسائل إلى معرفة القبائل، كتاب المنى والسول من أول الخليقة إلى بعثة الرسول، شرح عقد الجمان النفيس في ذكر الأعيان من أولياء غريس، در السحابة فيمن دخل المغرب من الصحابة، درء الشقاوة في جروب الترك مع درقاوة، ذيل القرطاس في ملوك بني وطاس، مروج الذهب في نبذة من النسب ومن إلى الشرف انتمى وذهب.

رغم كل هذا تبقى مؤلفات أبي راس كثيرة في شتى ميادين المعرفة المختلفة، إلاّ أنّ ما اشتهر منها في مجال التاريخ: عجائب الأسفار ولطائف الأخبار، والحلل السندسية في فتح ثغر وهران والجزيرة الأندلسية، والخبر المعرب الحال بالأندلس وثغور المغرب، وهي المؤلفات التي حاول الباحث تسليط الضوء عليها، ومحأولة التعرف على موضوعات كتابات الشيخ أبي راس وعلى نوع المنهج التاريخي المتبع فيها، فجاءت كمساهمة من الباحث في إخراج مخطوطات أبي راس إلى النور، فضلا عن تحقيقها ودراستها دراسة تاريخية علمية.

سادسا: وفاتـــه:

لقد كانت وفاة هذا الشيخ العلامة أبي راس الناصر، يوم الخامس عشر من شعبان من سنة ثمان وثلاثين ومائتين وألف هجرية 1238هـ/1823م عن عمر يناهز التسعين سنة، ولقد صلى عليه خلق كثير من الناس يؤمهم تلميذه أحمد الدايج الملقب بالخرشي الكبير عند الراشدية، وقد أحصاهم بعضهم بـ: ألف وخمسمائة (1500) نسمة، ودفن قرب داره بعقبة بابا علي بمعسكر أين يوجد ضريحه حيث أقيمت عليه بناية قائمة إلى اليوم هي مزارا للناس.

يقول الآغا المزاري:" توفي يوم الأربعاء15خمسة عشر شعبان 1238هـ/1823م. وصلى عليه العلامة الأسد الهايج فريد وقته المعبر عنه بالراشدية بالخرشي الكبير السيد أحمد الدايج ودفن بعقبة بابا علي من معسكر، فنسبت له تلك التي اشتهر بها، وعلى ضريحه قبة، نفعها الله به وأورثنا منه محبة وقربة.

وفي تلك السنة رفع المطر في العباد بعد ما فرغوا من الحراثة إلى أن بقي للصيف شهر واحد في القول الذي ليس من أقوال الرثاثة، فأرسل الله مطره النافع للعباد وأزال بهم من التخمين والكساد، ونبت الحبّ وتمت الصيانة وحصدوا قسمين تلك السنة بصابة الشهر. "

وفي هذا الشأن يقول صاحب دليل الحيران وأنيس السهران:" وفي تلك السنة نفسها رفع المطر عن العباد في ابانه، فتركت الناس الحرث في وقته وأوانه، ولفما بقي للصيف نحو الشهر الواحد، أمطر الله العباد بالمطر النافع المتزايد فحرثت الناس فيه وحصدوا، وبلغت مناهم فشكروا مولاهم وحمدوا، فسميت السنة بصابة شهر، وتعاطى اسمها في البدو والحضر" .

الباعث على تأليف الكتاب وهدفه:

لعلّ الباعث على تأليف أبي راس الناصر المعسكري لكتابه السالف الذكر، والذي نجده يذكره ضمن مقدمته قائلا: "وإني عزمت على تأليف عظيم الجدوى، بليغ الفحوى، يحتوي على أبواب وأسئلة فتوى، الباب الأول في ابتداء أمري، الباب الثاني في عدة أشياخي، الباب الثالث في رحلتي للمشرق وغيره وهي محور الدراسة، الباب الرابع في معارضة العلماء وأجوبة عن أشياء مختلفة، الباب الخامس في تأليفي في كل فن".

ونجده قبل ذلك يذكر من سبقه في مجال التأليف الرحلي قائلا: "وأسوتي في ذلك رحلة الجهابذة النحارير، والأسانيد الجماهير: كرحلة الإمام ابن رشيد السبتي[1]، والخطيب ابن مرزوق[2]، ورحلة الشيخ أبي سالم عبد

---

[1] ابن رشيد السبتي(657-721هـ=1259-1321م):محمد بن عمر بن محمد، أبو عبد الله، محب الدين ابن رشيد الفهري السبتي: رحالة، عالم بالأدب، عارف بالتفسير والتاريخ. ولد بسبتة، وولي الخطابة بجامع غرناطة الأعظم، ومات بفاس. رحل إلى مصر والشام والحرمين (سنة 683 هـ وصنف رحلة سماها (ملء العيبة فيما جمع بطول الغيبة في الرحلة إلى مكة وطيبة) أجزاء منه، ومن كتبه (تلخيص القوانين) في النحو، و(السنن الأبين، والمورد الأمعن، في المحاكمة بين الإمامين – البخاري ومسلم – في السند المعنعن) و(إفادة النصيح بالتعريف بإسناد الجامع الصحيح) كلاهما بتونس، و(إيضاح المذاهب فيمن يطلق عليه اسم الصاحب) و(ترجمان التراجم) على أبواب البخاري، لم يتمه. وله خطب وقصائد وكتب صغيرة كثيرة. خير الدين الزركلي، الأعلام، ج6، ص:314.

[2] محمد بن مرزوق الأكبر:عرف بالجد، ويعرف بالخطيب، هو محمد بن أحمد بن محمد بن محمد بن أبي بكر بن مرزوق العجيسي من أهل تلمسان، يكنى أبا عبد الله، ويلقب بشمس الدين الإمام ، شارح البخاري، والشفا، والعمدة، والإحكام، وصاحب الأربعين المسندة في الخلافة والخلفاء، وكتاب الإمامة، وإيضاح المراشد فيما تشتمل عليه الخلافة من الحكم والفوائد، وجنى الجنتين. ينظر ترجمة ابن مرزوق الجد في شجرة النور: 436 والتعريف بابن خلدون: 49 – 54 وتاريخ

الله بن محمد العياشي[1]، نسبة لقبيلة" آيت أعياش" من البربر، بارزا" تافلالت[2]". وقد سمي ابن رشيد رحلته "ملء العيبة، في طول الغيبة، إلى مكة وطيبة" في ستة أسفار. وكذا رحلة الشيخ أحمد بن الناصر[3]، وغيرهم.

والواقع أن أبا راس الناصر أبدى في كتابه هذا سعة اطلاعه بالعلوم الشرعية والأدبية والتاريخية، مما ينم على موسوعية الرجل وحافظته القوية حتى لقب بحافظ المغرب الأوسط. غير أننا نلمح بأن القسم الخاص برحلته للمشرق والمغرب يحرز قيمة تاريخية كبيرة. وهي ما سنلحظها من خلال ما كتبة في هذا الشأن.

أهمية رحلة أبي راس الناصر:

تعد رحلة أبي راس الناصر من أهم الرحلات المغاربية نظرا لتعدد قضاياها، وتنوع موضوعاتها وطروحاتها التي تجمع بين علوم شتى من تاريخ وفقه وتصوف ونحو ولغة و...كما أنّ هذا التنوع من العوامل التي أدت بصاحبها إلى اختيار أسلوب التعليق والمناظرة والاستشهاد بالشعر والأمثال والحكم والاقتباس من القرآن الكريم والحديث الشريف. كل هذا من شأنه أن يكشف البعد الفكري والفني للرحلة.

وقد حاولنا جاهدين أن نخرج هذا النص الرحلي في الحلة التي جاء عليها مساهمة منا في إغناء وإبراز تراث أبي راس الناصر المعسكري الغزير، وإن كنت في دراسات سابقة قد عقدت العزم على

ابن خلدون 7: 312 ونيل الابتهاج: 267 (بهامش الديباج) والديباج: 305 والبستان: 184 – 190 وجذوة الاقتباس: 225 وبروكلمان، التكملة 2: 335 والزركلي 6: 226 ونفح الطيب 5: 390

[1] العياشي(1037–1090ه=1627–1679م): عبد الله بن محمد بن أبي بكر العياشي، أبو سالم: أصله، من أهل فاس.نسبته إلى آية عياش (قبيلة من البربر تتاخم أرضها الصحراء، من أحواز سجلماسة) قام برحلة دونها في كتابه " الرحلة العياشية " في مجلدين، سماها " ماء الموائد " وله " إظهار المنة على المبشرين بالجنة " و" مسالك الهداية " بأسانيد شيوخه، و" تحفة الأخلاء بأسانيد الأجلاء ". ينظر: خلاصة الأثر 3: 70 – 80. دليل مؤرخ المغرب 1: 247.

[2] تافلالت: يرجع تاريخ تافيلالت إلى القرن الثامن حين كانت حاضرة سجلماسة القديمة العاصمة التجارية والروحية للمغرب الأقصى، حيث تقع منطقة تافيلالت التاريخية في الجنوب الشرقي للمغرب الأقصى.

[3] ابن ناصر الدرعي(1057–1129ه=1647–1717م):أحمد بن محمد بن محمد، ابن ناصر، أبو العباس الدرعي: صاحب (الرحلة الناصرية) جزآن في رحلته إلى الحج سنة 1121 ه. من فضلاء المغرب وصلحائه. كان شديد الشكيمة على أهل البدع، قوالا للحق. وذكر في رحلته أشياخه، وشحنها بفوائد علمية. وله كتب أخرى. ينظر: صفوة من انتشر 221 وشجرة النور 332 واليواقيت الثمينة 42، والأعلام بمن حل مراكش 2: 159 وطلعة المشتري 2: 119.

إخراج تراثه لاسيما المفقود منه. ونقصد بذ لك كتبه " أقوال التأسيس فيما وقه أو سيقع من الفرنسيس"، و" إسماع الأصم وشفاء السّقم في الأمثال والحكم" والتي نعكف منذ مدة على دراستها وتحقيقها وسترى النور بإذن الله تعالى.

3- أهم المصادر المعتمدة في الرحلة:

من أهم المصادر المعتمدة في الرحلة نذكر ما يلي:

- كتاب المصنف للشيخ خليل
- كتاب" كفاية المحتاج للشيخ أحمد بابا التنبكتي
- كتاب في حواشي البيضاوي للشيخ زاده الحنفي
- كتاب حاشية على تفسير البيضاوي، للشيخ عبد الحكيم بن شمس الدين الهندي السيالكوتي البنجابي.
- كتاب تفسير الجلالين
- كتاب حاشية التتائي
- كتاب في تفسير القرآن للشيخ شهاب الدين المعروف بالسمين
- كتاب حاشية مصطفى الرماصي.
- كتاب القرافي
- كتاب اليافعي تاريخ اليافعي
- كتاب الحلل الحريرية للحريري
- كتاب نفخ الطيب للمقري
- كتاب فصوص الحكم للشيخ محي الدين ابن عربي
- كتاب عجائب الأسفار ولطائف الأخبار لأبي راس
- كتاب الشفا للقاضي عياض
- كتاب درة الحواشي، على شرح الشيخ الخراشي
- كتاب شهاب الدين الخفاجي المسمة الشفا
- كتاب تاريخ ابن خلدون

- كتاب تاريخ الرسل والملوك للطبري
- كتاب منظومة البيان للأخضري
- كتاب حزب الشيخ النووي
- كتاب القاموس
- كتاب الصحيحين
- كتاب رسالة القشيري
- كتاب مختصر العين
- كتاب مختصر الكنز الراقي
- كتاب مختصر أبي شجاع

4- أهم العلماء الذين لقيهم:

- الشيخ القاضي المفتي السيد محمد بن جعدون
- الشيخ محمد ابن مالك
- قاضي "قرومة" السيد الهادي
- مفتي الجزائر وخطيبها السيد الحاج علي ابن الأمير
- السيد أحمد بن عمار
- الشيخ محمد بن الحفاف
- السيد محمد بن مالك
- السيد عبد الكريم محمد الفكون
- قاضي الجماعة الونيسي، الشيخ الحاج الشهير السيد علي الونيسي
- السيد محمد باي ابن عثمان
- الشيخ حمدون
- الشيخ عبد القادر بن شقرون
- الشيخ محمد بن بنيس
- أبو عبد الله، محمد بن طاهر الهواري،

- الشيخ السيد محمد ابن المحجوب
- السيد إبراهيم الرياحي
- السيد مرتضى الزبيدي
- السيد عبد الغني
- السيد عبد الرحمان التادلي المغربي

أهمية الرحلة تاريخيا في معرفة بلاد الحجاز:

وقد اعتمدنا في هذه الدراسة على كتاب فتح الإله ومنته لأبي راس الناصر دراسة وتحقيق محمد بن عبد الكريم الجزائري، والتي تعتبر هاته الرحلة جزء منه، فارتأينا أن نعطي لها عنوانا " رحلة أبو راس الناصر المعسكري مقتطف من كتاب فتح الإله ومنته". كما فعل أبو عياد حينما عكف على تحقيق جزء من كتاب التنسي نظم الدر والعقيان، والذي اختص فيه بملوك تلمسان.

ونظرا لتضارب الآراء واختلاف الرؤى حول رحلة أبي راس المفقودة، والتي يعتبر بعضها كتاب فتح الاله ومنته هو نفسه كتاب الرحلة، في حين هناك من يرى أن كتاب الرحلة لأبي راس فُقِد أثناء حرق المكتبة المركزية بالجزائر. وعليه حاولنا أن نستخرج من كتاب فتح الإله شبه الرحلة التي قام بها أبو راس.

وهكذا حاولنا توثيق ما جاء في الرحلة من آيات قرآنية وأحاديث نبوية وحكم وأمثال وأشعار ومؤلفات وأعلام وأماكن وبلدان، وما إلى ذلك ممّا يقتضيه المقام في مثل هذه الدراسات التراثية. وكل ما هو بين معكوفتين من وضع المحقق لتسهيل عناء القراءة والبحث.

إن إيماننا الراسخ بضرورة الانكباب على موروثنا الثقافي الذي تجسده تلك المخطوطات النفيسة، إنما هو في الحقيقة مرآة تعكس هويتنا وتثبت للعالم قاطبة أن لنا تاريخا كتبه علماء أعلام وصانوه، فلم لا نكمل مسيرتهم بدراسته وتحقيقه وفهرسته وإخراجه إلى النور، حتى يعرف الخلف بما صنعه السلف.

المبحث الثاني: رحلة الحسين الورتلاني:

أولا: تعريفه:

هو الحسين بن محمد بن السعيد المعروف بالورثلاني، نسبة إلى قرية ورثلان، ولد عام 1125هـ / 1713م، من عائلة ذات اصول عربية شريفة، مشهورة بالعلم والاصلاح والتصوف والتدريس، نشأ نشأة دينية في زوايا بلده، شد الرحال للحج فمر بتونس، ليبيا، مصر، مكة، المدينة، فكانت له العلاقات الجيدة، بعلمائها ومشايخها الذين عاصرهم، ونال الحظ الوافر من العلم لكثرة رحلاته، حتى غدا شعلة ومنار علم يشار إليه بالبنان.

ثانيا: تلقيه العلوم:

في القرن الثامن عشر ميلادي، تشعب في طلب العلوم المختلفة والفنون المتنوعة، فاجتمع له الفقه والتصوف والتوحيد والأدب والبلاغة والنحو حتى التاريخ، أما من حيث طريقة التصوف فقد كان الورثلاني شاذليا إلى جانب تأثره بالخلوتية (الرحمانية عندنا)، عاش حياة زاخرة بالعلم والتأليف والتدوين والنظم، طلب العلم ونشره، وخاض غمار الرحلات الحجازية والعلمية حتى وافاه أجله سنة 1194هـ / 1780م.

ثالثا: رحلاته:

يعد الحسين الورثلاني سيد الرحالين الجزائريين بلا منازع، وذاع صيته في الجزائر وتونس وليبيا، مصر، الحجاز، وداخل الوطن في مدن كثيرة كبلدته بني ورثلان، بسكرة، سيدي خالد، قسنطينة، عنابة، تلمان، ....وغيرها، وقد كان يتردد عليها لزيارة الصالحين أحياء وأمواتا (أضرحتهم)، أو لطلب العلم، أو للوقوف على شؤون الناس العالقة كفك الخصومات والاصلاح بين الأطراف المتنازعة، أو تقديم المساعدة لمن يحتاجها من ذوي الحاجات، وقد مدحه أبو القاسم محمد الحفناوي بقوله: "الإمام العالم، العامل العلامة، الكامل الأستاذ الهمام، شيخ المشايخ الأعلام".[1]

كما سبق الذكر أنه اغترف من مختلف العلوم، وفي ذلك اقتداء بسلفه، فقد اشتهر والده محمد السعيد الورثلاني وجده الحسين بن محمد الشريف الورثلاني بالتبحر في علوم الشريعة والفقه،

[1] أبو القاسم محمد الحفناوي، تعريف الخلف برجال السلف، تحقيق: محمد أبو الاجفان، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط2، ج2، ص139.

والحديث.... وغيرها من علوم الدين،[1] وتلك المزايا قلما اجتمعت لشخص واحد إلا لمن اختصهم الله بعنايته.

تنفرد رحلة الورثلاني بخصوصية لم تتأتى لرحلات مغربية أخرى، ويعزى ذلك لكونها جمعت بين علوم مختلفة من أدب وفقه، وتصوف، وتاريخ وجغرافيا، وعنوانها ذاته يوحي بذلك فقد سماها صاحبها "نزهو الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار"، فبكونها رحلة حجازية فهي علمية في الوقت ذاته، ومخطوط الرحلة متوفر كاملا، غير محقق ومحقق.

وقد تفنن الورثلاني في وصف رحلته قائلا: "أنشأت رحلة عظيمة يستعظمها البادي، ويستحسنها الشادي، فإنها تزهو بمحاسنها عن كثير من كتب الأخبار، مبينا فيها بعض الاحكام الغريبة، والحكايات المستحسنة، والغرائب العجيبة، وبعض الاحكام الشرعية ...".[2]

تلك الأوصاف التي أوردها الرحالة في شأن رحلته هاته، لا ريب في صحتها وذلك يتكشف من خلال الاطلاع على متن الرحلة واستخراج دره ويواقيته، إذ نجده "التزم بالصدق في كل ما أورده من أحداث ووقائع، فهو يدلي برأيه بكل صراحة ويجاهر بالحق إن رأى في ذلك مصلحة".[3]

ثالثا: تدوين رحلته:

بين الورثلاني في متن رحلته الأسباب العديدة التي دفعته لتدوينها، فسجل فيها كل شاردة وواردة صادفته، فقيد الأحداث بتواريخها، وسمى الشخصيات التي التقاها بأسمائها الحقيقية، ووصف كل المناظر التي رآها، والدروب التي يسلكها الحجاج في سفرهم، والصعوبات التي تعترضهم، وبين ذلك كله بقوله: "فإني لما تعلق قلبي بتلك الرسوم والآثار، والرباع، والقفار والديار، والمعاطن والمياه والبساتين والأرياف والقرى والمزارع والامصار، والعلماء والفضلاء والنجباء والادباء من كل مكان، من الفقهاء والمحدثين والمفسرين الاخيار، والأشياخ العارفين و ... أنشأت رحلة عظيمة يستعظمها البادي ويستحسنها الشادي".[4]

---

[1] مختار بن طاهر فيلالي، رحلة الورثلاني، عرض ودراسة، دار الشهاب، باتنة، الجزائر، د.ت، ص11.

[2] الحسين بن محمد الورثلاني، نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والاخبار، تقديم محمد بن أبي شنب، مطبعة بيروفونتانة الشرقية، الجزائر، 1908، ص713.

[3] ناصر الدين سعيدون، من التراث التاريخي والجغرافي للغرب الاسلامي، دار الغرب الاسلامي، بيروت، لبنان، ط14، 1999، ص420.

[4] الحسين الورثلاني، مصدر سابق، ص13.

يبدو الرحالة الورثلاني في تسجيله للكم الهائل من الاحداث والوقائع وكل ما يقع عليه ناظره، او يلتقيه، كأنه يغوص ما لم يحرص على تدوينه في رحلاته السابقة، فجاد فيها بكل ما يثريها من آداب وثقافة وتصوف، وفقه، وجغرافيا، وتاريخ، ... وغير ذلك، فأصدرها زخما هجينا، بل توليفة من العلوم المختلفة، استوعبت أحداث ثلاث حجات قام بها الأولى كانت عام 1153هـ، ثم تناها بأخرى عام 1168هـ، وثالثة عام 1179هـ، وعمد خلالها إلى تدوين كل ما أمكنه خلال فترات الاستراحة وحط الرحال.

اعتمد الورثلاني في تسجيل أحداث رحلته، على مصادر مختلفة، منه مؤلفات الرحالين السابقين أمثال: أبي سالم العياشي في "ماء الفوائد"، وأحمد بن ناصر آ درعي المغربي "الرحلة الناصرية"، التيجاني، العبدري، وقد نقل عنهم كثيرا من الأقوال والاقتباسات.

كما لا ننسى اعتماده على مصادر تاريخية لدى مؤرخين كثر أمثال البكري وابن حوقل والسيوطي وغيرهم، وهاجسه في ذلك إبعاز قيمة للتاريخ الذي لم يحظ بالمكانة اللائقة به لدى الجزائريين في ذلك العهد.

وهذا ما أورده الشيخ الحسين الورثلاني في قوله: "لا سيما أهل بلادنا، فإن علم التاريخ منعدم فيهم، وساقط عندهم فيحسبونه كالاستهزاء، أو اشتغالا بما لا يعني أو من المضحكة المنهي عنها".[1]

والذي ألجأ الرحالة إلى المؤرخين هو "تحري الحقيقة فهو لا يكتفي بما شاهده أو روي له بل يلتجئ في بعض الأحيان تأكيدا لروايته او استكمالا لوصفه إلى الاقتباس من كتب الرحالين السابقين".[2]

ولم يعتد بالمعارف المدونة فقط في تدوين رحلته، بل زاوج بينهما وبين الرواية الشفوية، فأخذ كثيرا من الأقوال والاخبار عن علماء وشيوخ لفيف من الزوايا من داخل البلاد وسجلها استشهادا بها.

كما سار على النمط نفسه عند لقائه بعلماء البلاد التي دخلها أثناء رحلته، فنهل من علوم أهلها من فقهاء وعلماء وأصحاب أوراد كتونس، ليبيا، مصر، بلاد الحجاز.

---

[1] نفسه، ص597.

[2] مختار بن الطاهر فيلالي، رحلة الورثلانيه – عرض ودراسة – دار الشهاب، باتنة، الجزائر، 1998، ص ص 62-63.

رابعا: وصف الرحلة:

انطلق الحسين الورثلاني من بلدته بني ورثلان، مرورا ببسكرة وصولا إلى الجزائر العاصمة، ثم سار ميمما صوب بلاد الحجاز قاصدا الحج وطلب العلم، فعبر بلدانا كثيرة كتونس (قابس بلاد الجري)، ثم ليبيا (طرابلس)، وصولا إلى مصر (البولاق)، منها إلى مكة ثم المدينة، وأثناء تلك الرحلة واجه الرحالة والركب المرافق له صعوبات كثيرة، منها قطاع الطرق واللصوص الذين كانوا يعترضون سبيل قوافل الحج فيقتلون وينهبون، فكانوا يستعدون للقائهم مع ما ينتابهم من خوف شديد.

وفي ذلك يقول الورتلاني: "فلا ترى أحدا تأخر إلا أخذ وسلب، أو هلك، فالحمد لله علينا نتأخر نحن معشر الإخوان عن الركب كثيرا، واللصوص في آثارنا فلا نرى منهم ... الاعراب اللين صدوا الحجاج في العام الذي قبلنا ... لأنهم أخذوا ركب الحجاج الجزائري والطرابلسي بل أخذوا منهم كيس من الدراهم وبذلك خلوا سبيلهم".[1]

كما تعرض الورثلاني والركب المرافق له لمخاطر أخرى، تمثلت في الظروف الطبيعية والمناخية من عطش شديد بسبب الحرارة العالية، أو الموت بسبب البرد القارص فقد "تضمنت الرحلة العديد من المخاطر منها الظروف الطبيعية مثل الحر والزوابع الرملية...

يضاف إلى ذلك بعض العصابات من قطاع الطرق التي تعمل خارج ولاية الحاكم، فتترصد مواكب الحج وتأتي على أمتعتها عنوة وبقوة السلاح، وكذلك أيضا بعض النصابين الذين يستغلون حسن نوايا الحجاج، فيسلبون مالهم من مال بالغدر والخديعة".[2]

وكان الامر يصل إلى حد القول في كثير من الاحيان كما يروي الورثلاني في قوله: "رأينا جموعا من العرب أصابنا منها خوف شديد لأنهم لا يغادرون أحدا إلا قتلوه وأخذوا ماله وذلك معلوم ضرورة فاستعددنا لهم مع الخوف الشديد".[3]

---

[1] الحسين الورثلاني، مصدر سابق، ص332.

[2] عبد الرحمن عزي، التواصل القيمي في الرحلة الورثلانيه، مؤسسة كنوز الحكمة للنشر والتوزيع، الابيار، الجزائر، د.ط، 2011، ص55.

[3] الحسين الورثلاني، مصدر سابق، ص449.

- **أهمية رحلة الورثيلاني في أحوال الطريق والاوضاع من تونس إلى الحجاز:**

كان السفر للحج في ذلك العهد مزيجا من المشقة والعذاب، وكان الحج ضمن جماعات أو ما يسمى بالركب من باب الحذر والحيطة، لأن الظروف المعادية كانت كفيلة بإهلاك الحاج لأول وهلة، رغم أنهم كانوا يزودون بالأسلحة كالبندقيات للدفاع عن أنفسهم.

أتم الشيخ الورثلاني رحلته حتى وصل البقاع المقدسة فاعتمر وحج، وقصد مصر أثناء رحلة الذهاب وجالس علماءها وشيوخها أمثال أحمد الجوهري، محمد الحفناوي، الشيخ البليدي، علي الصعيدي، علي الفيومي، وعبد الوهاب العفيفي[1]، وأعجب أشد الإعجاب بمصر لما وجد فيها من علم وعلماء ومشايخ وأصحاب حرف، ومهن... وغيرها.

حتى قال عنها: "مهما رأيت جنسا فيها إلا قلت إن هذا الجنس هو الذي في مصر، فإذا رأيت العلماء قلت لا جاهل في مصر، وإذا رأيت الأغنياء قلت لا فقير، وإذا رأيت الأشياخ وأصحاب الأوراد قلت هم أهلها، وكذا أهل الصنائع والحرف، فما وردت قوما أو نزاهة إلا قلت أهل مصر موجودون فيه".[2]

كان الورثلاني ينوي إطالة المكوث في مصر، ولكن الركب المرافق له استعجله لمواصلة الرحلة معه إلى بلاد الحرمين الشريفين، وبعد عودته إلى الجزائر لقي احتفاء كبيرا في طريقه سواء في المدن أم البلدات التي مر بها، أم في قرية بني ورثلان، حيث ظلت مواكب المباركة تفد عليه لمدة أشهر، ثم جلس للدعوة وتعليم الناس أمور دينهم، بالإفتاء وإلقاء الدروس والنصح والوعظ، وتوفاه الله سنة "1193-1779"، ودفن بالقرب من زاوية بني ورثلان.

---

[1] الحسين الورثلاني، مصدر سابق، ص ص 285-303.

[2] نفسه، ص ص 560-561.

المبحث الثالث: رحلة ابن حمادوش:

1/ مولده:

ولد ابن حمادوش سنة (1107هـ/ 1695م)، في مدينة الجزائر، وتلقى بها مبادئ علوم الدين، واللغة بعد أن حفظ القرآن الكريم، أما عائلته عرفت بحرفة الدباغة، لذا كان والده يعرف بالحاج محمد الدباغ، أما "ابن حمادوش" فقد تحدث عن حرفة أخرى كان يمارسها، وهي تجليد الكتب ونسخها.[1]

وقد عاش يتيما وكفله عمه الذي زوجه ابنته، وأسكنه منزله، ولكنه لم يتحدث كثيرا عن هذا الزواج، وإنما أكثر الشكوى من زواجه الثاني الذي كان سيئ الحظ فيه، حيث صاهر عائلة أمين النحاسين، وبقيت حرفة التجارة ملتصقة به،[2] ، وبخاصة أنه ذكر في رحلته إلى المغرب كان طلبا للعلم والتجارة. كما ذكر في رحلته أيضا أنه بعد عودته من المغرب، وجد عنده ولدين سيدي الحسن وسيدي الحسين ولدتهما زوجته زهرا ليلة الجمعة الثامن والعشرين ربيع الأول من عام 1156.[3]

2/ حياته:

وقد عاصر "ابن حمادوش" أحداثا هامة في بلاده، وفي العالم «فقد استقلت الجزائر أو كادت عن الدولة العثمانية في عهد حكم الدايات...كما عاصر ابن حمادوش تسلط اليهود الاقتصادي، وخصوصا اليهود المهاجرين من أوروبا وانحسار موجة غنائم البحر، وبعض الغارات الإسبانية على الجزائر أما على المستوى الإسلامي، فقد شهد بنفسه الحرب الأهلية بالمغرب الأقصى حتى كاد يذهب ضحية لها، ولا شك أنه شهد أيضا بعض الحروب التي جرت بين حكام الجزائر وتونس...[4]»

أما بالنسبة لثقافته فقد كانت هي ثقافة معاصريه إذ كان يطالع كتب الفقه والحديث والأدب والتاريخ، ولكنه تميز بميله إلى العلوم الرياضية، والطبية، وما شاكلها، فهو صيدلي، وطبيب، وفلكي وفرضي ومنطقي، وقد ألف في هذه العلوم، وربما هذا ما جعله مهتما بكتب التراث العلمي العربي

---

[1] موسوعة العلماء والأدباء العرب والمسلمين، مج7، دار الجيل، ط1، 2005، ص206، وعبد الرزاق بن حمادوش، لسان المقال في النبإ عن النسب والحسب والحال، تقديم وتحقيق وتعليق أبو القاسم سعد الله، عالم المعرفة، الجزائر، طبعة خاصة، 2015، ص9.

[2] نفسه، ص206.

[3] نفسه، ص114.

[4] نفسه، ص ص 9-10.

واليوناني حيث طالع إقليدس، وغاليان، وابن سينا والأنطاكي، وابن البيطار، والقلصادي، والحسن المراكشي وأمثالهم،[1] كما أعجب بكتاب الملطي حيث قال «أنه لم ير مثله في التراكيب العربية وأساليبها فيما عرب من كتب النصارى»،[2] وهذا يدل على مدى اهتمامه بالجانب العلمي، وإهماله للجانب التجاري، وهذا ما جعله يعيش وضعا اقتصاديا بائسا وينغص عليه حياته مع عائلته، وقد ذكر في رحلته أسماء أهم الشيوخ الذين تتلمذ على أيديهم حيث بين "أنه قرأ في الجزائر على يد الشيخ محمد بن ميمون، كما عاصر فيها علماء وأدباء ما تزال أسماؤهم وبعض أعمالهم تشهد لهم بالحذق والمكانة في مجتمع عصرهم أمثال أحمد بن عمار صاحب (نحلة اللبيب) والمفتي الشاعر ابن علي، وعبد الرحمن الشارف، وأحمد الزروق البوني... وممن قرأ عليهم ابن حمادوش في المغرب وأجازوه محمد بن السلام البناني الفاسي، وأحمد الورززي التطواني، وأحمد السرائري...أما من تونس فلم يذكر سوى الشيخ محمد زيتونة والشيخ محمد الشافعي"،[3] ويبدو أن "ابن حمادوش" كان شغوفا بطلب العلم لذلك كان كثير الترحال حيث طاف العديد من مدن العالم الإسلامي كتطوان ومكناس، وفاس وتونس والحجاز والتقى بعلمائها واستفاد من علمهم وطلب الإجازة لنفسه أيضا، وهذا ما جعل رحلته مليئة بأخبار عصره.

3/ ميوله للمطالعة:

يبدو أن ابن حمادوش كان يقرأ الكتب المعربة، أو "يقرأ ما يسميه بكتب النصارى، ويعجب بما فيها، ولكنه حذر، مع ذلك مما يتعلق فيها بالدين والعقائد"[4]، فرغم أنه نقل عن كتاب الدول للملطي تراجم عدد من العلماء المسلمين وغيرهم من أمثال: محمد البتاني، ومحمد الرازي، وابن سينا، والفارابي، والبيروني، وإقليدس، وأبو لونيس النجار...، نجده يعلق عليه بقوله: "هو كتاب عجيب التأليف حسن الصنيع، لولا أنه محشو كفرا تزل فيه الأقدام، فيجب التحذير منه".[5]

---

[1] نفسه، ص206.

[2] أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي (1500-1830)، ج2، دار البصائر، الجزائر، 2007، ص428.

[3] أبو القاسم سعد الله، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، دط، 1978، ص ص 146-147.

[4] أبو القاسم سعد الله، مرجع سابق، ص450.

[5] الرحلة، ص143.

ويذكر ابن حمادوش في رحلته أنه قرأ عددا كبيرا من الكتب في مختلف الفنون والعلوم كما اورد أيضا أسماء الشيوخ والعلماء الذين تثقف على أيديهم في الجزائر والمغرب أو في تونس والمشرق، "ولئن كنا لا نجد أثرا لشيوخه الأولين لفقدان الجزء الأول من رحلته في الوقت الحاضر، فإننا نعرف من الجزء الثاني منها أنه قرأ في الجزائر على يد الشيخ محمد بن ميمون، كما عاصر فيها علماء وأدباء ما تزال أسماؤهم وبعض أعمالهم تشهد لهم بالحذق والمكانة في مجتمع عصرهم أمثال أحمد بن عمار صاحب (نحلة اللبيب) والمفتي الشاعر ابن علي، وعبد الرحمن الشارف، وأحمد الزروق البوني.[1]

4/ تدوينه للرحلة:

يظهر لنا من خلال الرحلة أن صاحبها كان يكتب يومياته ويسجل ملاحظاته ومشاهداته، ويذكر من لقيهم من العلماء والأدباء سواء الذين قصدهم أم الذين سمع عنهم، كما نلاحظ أيضا أنه كان يسعى جاهدا للاتصال بهم وللأخذ عنهم، وللاستفادة من تجاربهم وخبراتهم وبالتالي يحصل على الإجازة، بل أنه كان يلح في أخذ الإجازة من العالم الذي يقصده، ويتتبع الطريقة المعروفة في الاستجازة كتقديم أبيات من الشعر أو قطعة من النثر، مقدما نفسه ومثنيا على المجيز، ثم يطلب منه الإجازة،[2] بشكل واضح وصريح.

ولقد كان ابن حمادوش شديد الاهتمام بملازمة العلماء كي يأخذ منهم ويقرأ عليهم، وبالتالي يحصل على الإجازة – كما سبق وذكرنا – وهذا ما يجسد فعلا فكرة "أن الجزائري مجبول على حب العلم فقد قام بالرحلات في سبيل اقتفائه"[3]، ولذلك نجد أن صاحب الرحلة كان كثير التنقل والترحال في عواصم ومدن العالم الاسلامي العربي كتطوان وفاس، ومكناس، وتونس، والرشيد، والحجاز، فقد التقى بعلماء هذه البلدان وخالطهم وجالسهم واستفاد من تجاربهم في مختلف الميادين وهذا ما جعل الكثير يعتبره شاهدا على عصره"[4]، نظرا للمعلومات الكثيرة التي أوردها في الرحلة، والتي تعتبر مصدرا هاما للباحثين في شتى الميادين سياسيا واقتصاديا واجتماعيا وثقافيا.

---

[1] أبو القاسم سعد الله، مرجع سابق، ص ص 146-147.

[2] أبو القاسم سعد الله، مرجع سابق، ص207.

[3] محمد الطمار، الروابط الثقافية بين الجزائر الخارج، دط، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1983، ص5.

[4] محمد داود، تاريخ تطوان، القسم الاول، المجلد الثالث، دط، تطوان، 1962، ص ص 148-152.

5/ رحلته:

كان ابن حمادوش واحدا من بين العلماء الجزائريين الذين رحلوا إلى المغرب، وأقاموا فيه مدة من الزمن، "ويبدو أنه كان يتردد على المغرب للتجارة والعلم"[1]، ويذكر هو في رحلته أنه كان هناك في سنة 1145هـ، و "وجدناه أيضا هناك سنة 1156هـ، حين أطال فيه الإقامة"[2]، ولهذا تعتبر رحلته من المخطوطات النادرة عن الجزائر والمغرب خلال القرن الثاني عشر الهجري والثامن عشر الميلادي"[3]، فالرحلة بهذا لها "أهمية كبيرة لا تحتاج إلى طول نظر، فهي نادرة في نوعها إذ لم يبق لنا الزمن سوى عدد ضئيل جدا من الرحلات الجزائرية التي تعود إلى العهد العثماني"[4]، فهي (الرحلة) تزخر بالمعلومات الكثيرة عن عصره سياسيا واقتصاديا وفكريا واجتماعيا، كما تضم أيضا أخبارا عن معاصريه، فلقد تحدث في الرحلة عن أفكارهم وأخلاقهم ونظمهم وأذواقهم.

6/ مضمون الرحلة وأهميتها:

بعد الاطلاع على مضمون الرحلة، فإنه يمكن تقسيم محتواها العام إلى ثلاث أقسام وهي:

أولا:

قسم المغرب، وهو الذي يصح أن نسميه الرحلة،[5] والظاهر أن بن حمادوش كان يتردد على المغرب للتجارة وطلب العلم – كما سبق ذكره – ولقد باشر المؤلف كتابتها في (1156هـ – 1743م) من دون تحديد المكان لا في هذه البداية ولا في تاريخ الفراغ من كتابتها (1160هـ – 1747م)... ويتضح شكل الرحلة في القسم الخاص بحديثه عن المغرب الأقصى فقط.[6]

---

[1] أبو القاسم سعد الله، مرجع سابق، ص426.

[2] نفسه، ص426.

[3] أبو القاسم سعد الله، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، مرجع سابق، ص143.

[4] الرحلة، ص24.

[5] أبو القاسم سعد الله، مرجع سابق، ص152.

[6] عمر بن قينة، مرجع سابق، ص ص 99-100.

يذكر ابن حمادوش في رحلته أنه سافر إلى المغرب على ظهر سفينة فرنسية استأجرها ثلاثة تجار جزائريين في 14 فبراير 1743، كما يذكر أيضا أن أول مدينة زارها في المغرب هي تطوان، يقول: "بعد شروق الشمس خرجنا من جبل طارق... فدخلت تطوان في أول الساعة السابعة، وصليت الظهر بها جماعة، فلقيت من علمائها الشيخ أحمد الورززي فسلمت عليه".[1]

والظاهر أن ابن حمادوش ذكر كل ما شاهده وعاشه في المغرب كوصفه لثورة حاكم تطوان (أحمد الريفي) ضد السلطان (مولاي عبد الله)، كما تضمنت رحلته أيضا أخبارا عن عادات وتقاليد سكان المغرب خاصة في الاحتفال بليلة المولد النبوي، بالإضافة أيضا نجده يذكر غرائب وعجائب ما رأى في المغرب كدخولهم عراة تماما للحمامات وهذه عادة استقبحها صاحب الرحلة، يقول عن ذلك: "من أقبح ما في المغرب كله حماماتهم، ويبدون عوراتهم فيها"[2]، كما تحدث أيضا عن عادات غريبة أخرى رآها في المغرب "ومنها ان رجالا لا يتعممون إلا القليل، وأن نساءها لهم عمائم كبار"[3]، للإضافة إلى ذلك أورد ابن حمادوش تفصيلا مهما عن الدروس التي حضرها في المغرب، فذكر أسماء العماء الذين التقى بهم، وناقشهم وقرأ عليهم.

ثانيا:

قسم عن المؤلف نفسه في الجزائر، "وهذا القسم ترد أخباره مفرقة ضمن قصص واستطرادات، وهو عبارة عن مذكرات وحوادث يومية عن قراءاته وملاحظاته ونشاطه"[4]، وهذا الجزء يمكن أن نعتبره سيرة ذاتية عن المؤلف نفسه، فلقد ذكر أخبارا متفرقة عن حياته الشخصية الصعبة والقاسية، لأنه كان فقيرا، فتسبب له ذلك في كثرة المشاكل مع زوجه الثانية ومع عائلته الاخرى أيضا، يقول: "... باتت أمي عندي فأخذت تلوم سعدي، حتى قالت: يا ليتني لم ألدكم ذكورا لسوء سعدكم وكنت تعتب في السنة

---

1 الرحلة، ص02.

2 الرحلة، ص59.

3 نفسه، ص60.

4 أبو القاسم سعد الله، مرجع سابق، ص153.

الماضية في المغرب من مرض وخسارة وضيق ولم أرى قط ما رأيت فيه من ضيق العيش والخسارة والعياذ بالله، حتى أيقنت الهلاك، فقدمت وجدت من الزوجة مثل ذلك، ولم أرها فرحت بقدومي".[1]

ورغبة صاحب الرحلة في طلب العلم، جعلته كثير التنقل والترحال في سبيل تحصيله، غير أن ذلك انعكس سلبا على حياته العائلية والشخصية، فكثرت مشاكله لأنه أهمل التجارة التي تعتبر مصدر رزق العائلة.

وعلى كل حال فلقد عاش ابن حمادوش حياة مليئة بالفقر والضيق والمشاكل، "وقد كان الفقر سببا في شقاء زواجه أيضا حتى هربت منه زوجه الثانية، وطلبت الطلاق، وفارقته أمه وأخوه، وحاول الجمع بين العلم والتجارة فلم يحالفه النجاح، لأنه كما قال: "كان لا يفارق الكتب"[2]، حتى في أصعب الظروف التي كانت تواجهه كمعاناته من الغربة في المغرب، وكساد تجارته، وانقطاع الاخبار بينه وبين اهله في الجزائر.

ثالثا:

ويتضمن هذا القسم "نقولا كثيرة من كتب ووثائق المتقدمين والمعاصرين: مثل الاكتفاء لابن الكردبوس، وكتاب تاريخ الدول للملطي، وأنس الجليل للعليمي، بالإضافة إلى مجموعة من عقود الزواج على عادة أهل مدينة الجزائر، وكذا مجموعة من الأسانيد والإجازات والقصص العامة كقصة الفيل وقصة العنقاء".[3]

معنى ذلك أن مؤلف الرحلة اعتمد على كتب ووثائق مكتوبة للمتقدمين أما المعاصرين له، فكان يأخذ عنهم بالمشافهة والسماع، فيحصل في الاخير على الإجازة منهم، فهذه العوامل ساهمت بشكل أو بآخر في تكوين شخصية ابن حمادوش العلمية والثقافية، ضف إلى ذلك كله تجربته الشخصية، فكثيرا ما كان يروي أحداثا في رحلته شاهدها عيانا أو عاشها، "فالتطورات الاجتماعية والسياسية والعلمية التي تحدث عنها في المغرب والجزائر كان مصدرها بالدرجة الأولى التجربة الشخصية"[4]، وهي المصدر

---

[1] الرحلة، ص76.

[2] أبو القاسم سعد الله، مرجع سابق، ص425.

[3] أبو القاسم يعد الله، أبحاث وآراء، مرجع سابق، ص153.

[4] نفسه، ص154.

الغالب عليه في جمع المعلومات، فالمحور الرئيسي الذي تدور حوله الرحلة بكل أقســـامها – إذن – هـــو شخص المؤلف.

خلاصة:

تعتبر الرحلات الحجازية شاهد عيان على زخم وإرث علمي وأدبي خلفه الرحالة المغاربة عامة والجزائريون خاصة، ولهم قصب السبق في تخليد ثقافة تلك البلدان التي ارتحلوا إليها، وأرخوا لأحداث هامة جرت فيها، فحفظوا لها تاريخها ومن أولئك الرحالة من سبق ذكرهم في هذا الفصل.

وتكمن أهمية الرحلات في كونها تمثل مظهراً من مظاهر الحضارة العربية الإسلامية... فتحت الآفاق المعرفية، واستقصت العادات البشرية، واحتضنت القوافل التجارية، ودونت فنون المجالس العلمية، واقتحمت الحدود السياسية، وطرقت أبواب الطرق الدينية الصوفية، ورسمت حدود الخرائط الجغرافية، لمختلف الأقطار الإسلامية.

والحق أن أدب الرحلات شكل نافذة أكثر أهمية في التعرف على بلدان وأقطار عديدة. تجلى ذلك بوضوح مع أصحاب المدرسة الجغرافية العربية الكلاسيكية في القرن العاشر الميلادي، مع الأصطخري (340هـ-951م)، وابن حوقل (367هـ-977م)، والمقدسي (387هـ-997م)، الذين جمعوا الترحال والعلم الجغرافي.

من هذا وغيره، وجدنا الرحلة شكلت اللحظة الأكثر انفتاحاً وانطلاقاً في المعرفة العربية عن الآخر، لأنها اتخذت من التجربة والمشاهدة المباشرة، أساساً لتدوينها ووصفها، فكان الرحالة العربي بمثابة اثنوغرافي أصيل، اختزن في جوانب وصفه إرهاصات الأنتربولوجي الحديث، وهو ما ساعده على اختراق الصورة الثابتة النمطية التي ورثها الجغرافي العربي عن بطليموس، وجعله أكثر قرباً من واقع الحياة الحضرية للشعوب، وبهذا يكون قد قدم لنا معطيات لا يمكن الاستغناء عنها لمعرفة مقطع هام ومجهول من حياة تلك الشعوب.

الخاتمة

الخاتمة:

من خلال ما تطرقنا إليه في دراستنا البحثية التي كان موضوعها "الرحلة الجزائرية إلى الحجاز" تبين مدى أهمية هذا الهيكل المنظم لأداء الجزائريين شعيرة الحج، وتعدد الأوجه والأبعاد التي كانت تحيط برحلة الحجاج إلى بلاد الجاز آنذاك، فقد أضحى ركب الحج الجزائري بمثابة المؤسسة التي تمكن مجتمع الحجاج فضلا عن أداء الحج من ضمان التواصل المتنوع مع فضاء سفره، وكذا مدى أهمية الرحلات الحجازية في ذلك الوقت وأهم الدوافع التي مكنت الرحالة الجزائريين للخروج إلى أرض الحجاز.

وبناءا على الفصول التي عرضناها في هذه الدراسة يمكننا القول أننا توصلنا إلى النتائج التالية:

أولا: ركب الحج الجزائري كان حاضرا في مسألة تنظيم الحج من الجزائر خلال تلك الفترة، ولم يكن ملحقا بأركاب حج أخرى، بل كان كيانا قائما بحد ذاته، انطلاقته من الجزائر ومنتهاه إليها بعد أداءه مناسك الحج والعمرة من الحجاز.

ثانيا: إن الأسباب والدوافع التي دفعت بالرحالة الجزائريين إلى الخروج للحجاز لم تكن فقط دوافع دينية، بل تعدت ذلك كون أن الرحالة اغتنموا فرصة رحلاتهم الحجازية من أجل تعلم العلم ومخالطة العلماء من جميع الدول المجاورة التي يمر بها الركب كمصر مثلا وعلماء الحجاز، بل هناك ارتحل من أجل الجهاد ولأمور سياسية تهمه، فكانت دوافع الرحلات الحجازية في الجزائر متعددة ومتنوعة حسب ميول ورغبة كل رحالة منهم.

ثالثا: إن من أهم الرحالة الجزائريين الذين ضاع صيتهم آنذاك وشهدت عليهم مؤلفاتهم التي وصفت رحلاتهم الحجازية نجد: أبو راس الناصري في رحلته التي أسماها " فتح الإله ومنته في التحدث بفضل ربي ونعمته " وكذا الحسين الورثيلاني في رحلته المسماة " نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار"، وأيضا نجد ابن حمادوش الذي ارتحل ودون رحلته في كتاب أسماه " لسان المقال في النبإ عن النسب والحسب والحال "، أولئك من أشهر الرحالة الجزائريين الذي قصدوا أرض الحجاز ودول أخرى كالمغرب ومصر وغيرهما، ووصفوا عجائب وغرائب ما وجدوه هناك.

رابعا: إن أكبر خطر كان يتهدد الرحالة الجزائريين هو الاعتداء على ركبهم، وسلب أموالهم وأرزاقهم من طرف بعض قبائل البدو الرحل أو الأعراب التي أصبحت تفرض ما اعتبرته عوائد الطريق، مقابل عدم التعرض لهم بسوء.

وتتمثل أهمية الرحلات في القيمة العلمية التي تكمن في احتواء معظم هذه الرحلات على كثير من المعرفة التي تمت إلى علم الجغرافيا وعلم التاريخ بأوثق الصلات، ففي الرحلات وأدبها صور وافية ومعلومات دقيقة عن الأحوال الاقتصادية والاجتماعية والعمرانية والسياسية للعرب ومن جاورهم من شعوب أفريقيا وآسيا وشطر من أوروبا. كذكر المعالم الأثرية، والعلاقات الاقتصادية، ووصف البلدان والممالك والأصقاع والأقطار والمسالك والطرق، وغير ذلك مما لا يزال يعتبر – حتى يومنا هذا – مرجعاً أساسياً في دراسة جغرافية هذه المناطق وتاريخها[1].

وأصحاب الرحلات من المغاربة – أفارقة وأندلسيين – يُعَدُّونَ بالعشرات بين قديمهم والجديد، وما تركوه لنا من أثر تقاييدهم في السفر يتفاوت قيمة وأهمية بطبيعة الأمر، لا من ناحية الوجهة والغاية فحسب، بل من ناحية التحقيق والتحرير وشدة الرغبة في الاطلاع على حقائق الأشياء وأصولها.

وليس من شك أن فريضة الحج في الإسلام كانت من أعظم البواعث على سفر آلاف من المغاربة في كل عام إلى الحجاز للقيام بهذه الفريضة، وبعد زيارة الحرمين الشريفين كان الكثير منهم يقصدون المقامات المباركة بالمشرق كالمسجد الأقصى بالقدس، وقبر إبراهيم الخليل في حبرون، ثم يعرجون على دمشق ومدائن أخرى من الشام، وطالما زاروا بغداد عاصمة العباسيين بالعراق. وفي رجوعهم يقفون برهة بمصر حيث جامع عمرو بالفسطاط، والجامع الأزهر وحِلَقُ تعليمه، والمشهد الحسيني، ومقام الشافعي. ثم يقطعون مفازة برقة إلى طرابلس – إنْ كان السفر في البر – ثم إلى تونس ومنها ينتهون إلى قرارهم الأصلي بالمغرب الأوسط أو الأقصى أو بالأندلس وهي نهاية العالم الإسلامي وقتئذ.

1 انظر: (أدب الرحلات عند العرب) لعبد الرحمن شلش، مجلة الفيصل: العدد 9، سنة 1978م، ص: 121.

الملاحق

ملحق رقم 01:

خريطة مسار ركب الحج الجزائري

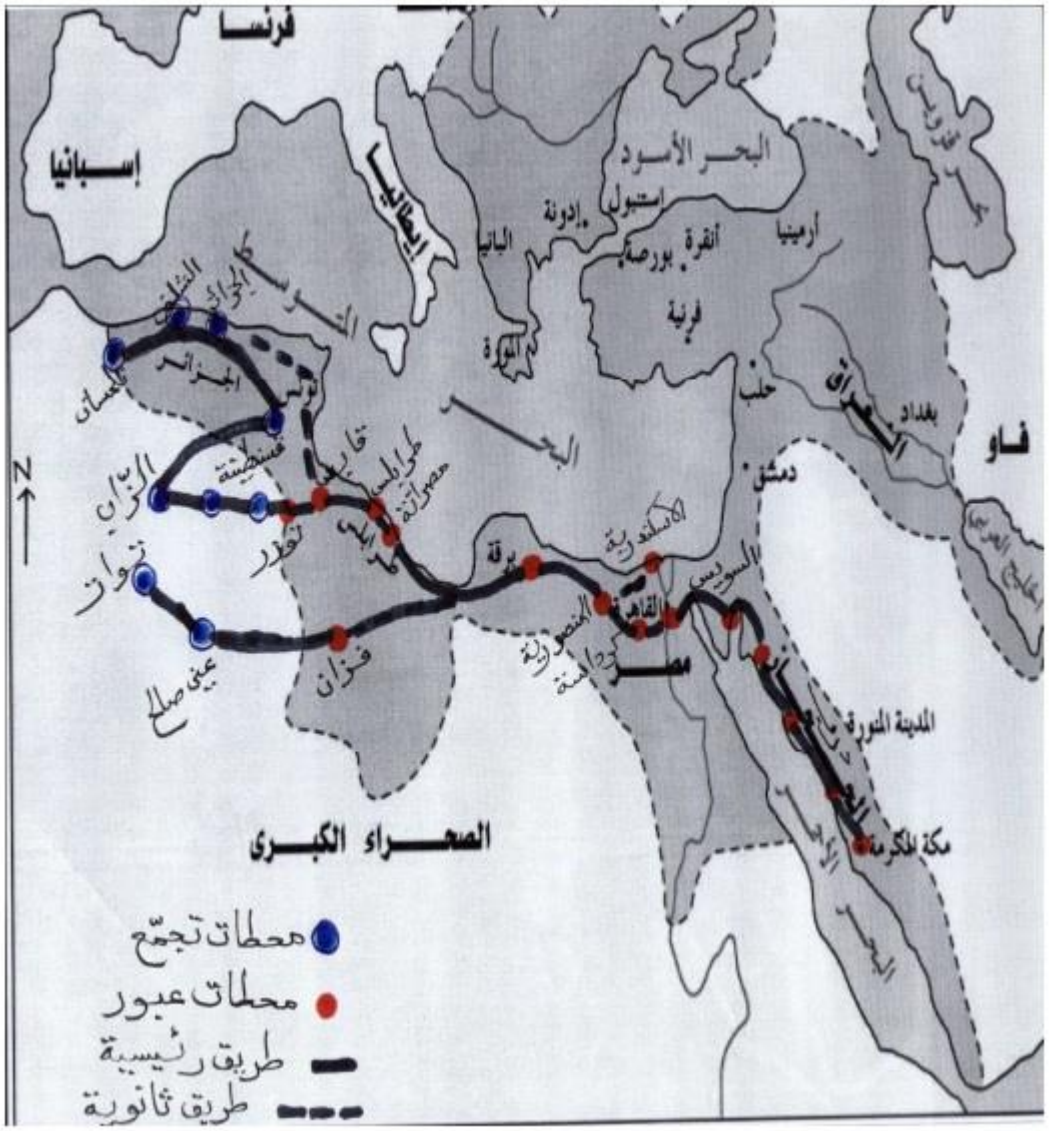

المصدر: من إعداد الطلبة بناء على مصادر الدراسة

ملحق رقم 02:

صورة من مخطوط رحلة الحسين الورثيلاني موسم 1766م

المصدر: الشيخ العلامة سيدي الحسين الورثيلاني، الرحلة الورثيلانية المسماة بنزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والاخبار، 1908، ص3

ملحق رقم 03:

مخطوط من رحلة أبو راس الناصري

المصدر: عبد الهادي التازي، مكة في مائة رحلة مغربية، الفرقان للتراث الإسلامي، الرياض، المملكة العربية السعودية، 2005، ص457.

ملحق رقم 04:

صورة قديمة للكعبة المشرفة

المصدر:

SNOUCK HURGRONJE: BILDER AUS MEKKA, LEIDEN, BRILL: 1889

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع:

القرآن الكريم.

السنة النبوية الشريفة.

أولا: المصادر والمراجع باللغة العربية:

1. ابن زكور الفاسي، نشر أزاهر البستان فيمن أجازني بالجزائري وتطوان من فضلاء أكابر الأعيان، المعرفة الدولية للنشر والتوزيع، الحراش، الجزائر، 2001م.
2. ابن منظور، لسان العرب، مج 4، ج24، بيروت، لبنان.
3. ابن هطال التلمساني، رحلة محمد الكبير باي المغرب الجزائري إلى الجنوب الصحراوي، 1758م، دار السويد للنشر والتوزيع، 2004.
4. أبو القاسم سعد الله، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، دط، 1978.
5. أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي (1500-1830)، ج2، دار البصائر، الجزائر، 2007.
6. أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج2، ط1، دار الغرب الإسلامي بيروت، 1998.
7. أبو القاسم محمد الحفناوي، تعريف الخلف برجال السلف، تحقيق: محمد أبو الاجفان، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط2، ج2.
8. أبو حامد الغزالي، إحياء علوم الدين، دار الشعب، القاهرة، دط، دت، ج6.
9. أبو راس الناصري، عجائب الأسفار ولطائف الأخبار، تح: أ. محمد غانم، المركز الوطني للبحث في الانثربولوجيا الاجتماعية والثقافية، وهران، الجزائر، 2005م.
10. الحسن أحمد بن فارس بن زكرياء: مقاييس اللغة، تح: عبد السلام محمد هارون، ج2، دار الفكر، مصر، 1989.
11. بدر الدين أبو عبد الله الزركشي، اللآلئ المنثورة في الأحاديث المشهورة، تح: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، د ط، د ت.
12. بطرس البستاني، دائرة المعارف، مج 8، مطبعة المعارف، دط، بيروت، 1884.

13. الحسن الشاهدي، البلدان الآسيوية غير العربية في القرن 8هـ/14م من خلال رحلة بن بطوطة، ضمن "الرحالة العرب والمسلمون"، أعمال ندوة الرباط، وزارة الثقافة الرباط، المغرب، ط1، 2003.

14. الحسين بن محمد الورثلاني، نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والاخبار، تقديم محمد بن أبي شنب، مطبعة بيروفونتانة الشرقية، الجزائر، 1908.

15. الحسين بن محمد الورثيلاني، الرحلة الورثيلانية نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط1، 2008، م1.

16. حسين محمود حسين، أدب الرحلة عند العرب، دار الأندلس للطباعة والنشر، ط2، بيروت، لبنان، 1983.

17. عبد الرحمن عزي، التواصل القيمي في الرحلة الورثلانيه، مؤسسة كنوز الحكمة للنشر والتوزيع، الابيار، الجزائر، د.ط، 2011.

18. عبد الفتاح كليطو، الحكاية والتأويل، دراسة في سرد العربي، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، د ط، د ت.

19. عواطف بنت محمد يوسف نواب، كتب الرحالة في المغرب الأقصى مصدر من مصادر تاريخ الحجاز في القرنين الحادي عشر والثاني عشر الهجريين، دار الملك عبد العزيز، 1429هـ/2007م.

20. فؤاد قنديل: أدب الرحلة في التراث العربي، مكتبة الاسكندرية، ط2، القاهرة، مصر، 2002.

21. محمد البشير الإبراهيمي، عيون البصائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، دط، دت.

22. محمد الدين محمد يعقوب الفيروز الأبادي، القاموس المحيط، تح: أنس محمد الشامي، دار الحديث، القاهرة، 2007.

23. محمد الطمار، الروابط الثقافية بين الجزائر الخارج، دط، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1983.

24. محمد داود، تاريخ تطوان، القسم الاول، المجلد الثالث، دط، تطوان، 1962.

25. محمد فريد وجدي، دائرة المعارف القرن العشرين، دار الفكر، بيروت، دط، دت، مج4.

26. محي الدين أبو زكريا بن شرف النووي، رياض الصالحين، تح: أحمد أبو زينة، المكتبة العصرية، صيدا بيروت، لبنان.

27. محي الدين أبي كرياء يحي بن شرف النووي، صحيح مسلم بشرح النووي، تح: محمد سيد عبد رب الرسول، ج18، مكتبة أبو بكر الصديق، ط1، القاهرة، 2006.

28. مختار بن الطاهر فيلالي، رحلة الورثلانيه – عرض ودراسة – دار الشهاب، باتنة، الجزائر، 1998.

29. المسعودي أبو الحسن علي بن الحسين، مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج1، تقديم محمد السويدي، موفم للنشر، دط، الجزائر، 1989.

30. ناصر الدين سعيدون، من التراث التاريخي والجغرافي للغرب الاسلامي، دار الغرب الاسلامي، بيروت، لبنان، ط14، 1999.

31. ناصر عبد الرزاق الموافي، الرحلة في الأدب العربي حتى نهاية القرن الرابع، دار النشر للجامعات، القاهرة، ط2، 1999.

32. وليد زوهري، أدب الرحالة الجزائريين إلى مكة والمدينة، دراسة وصفية تحليلية، مجلة الدراسات اللغوية، العدد الأول، يونيو 2012.

ثانيا: المقالات العلمية:

33. ليلى غويني، التفاعل الثقافي بين دول المغرب في العهد العثماني من خلال الرحلات الحجازية الجزائرية، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث، جامعة الجزائر2، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، قسم التاريخ، 2011/2010.

34. الطاهر حسيني، الرحلة الجزائرية في العهد العثماني – بناؤها الفني أنواعها وخصائصها، أطروحة مقدمة لنيل الدكتوراه في الادب العربي، 2014/2013.

ثالثا: الموسوعات العلمية:

35. موسوعة العلماء والأدباء العرب والمسلمين، مج7، دار الجيل، ط1، 2005، ص206، وعبد الرزاق بن حمادوش، لسان المقال في النبإ عن النسب والحسب والحال، تقديم وتحقيق وتعليق أبو القاسم سعد الله، عالم المعرفة، الجزائر، طبعة خاصة.

رابعا: المراجع الأجنبية:

36. M. HADJ-SADOK , A travers la Berbérie orientale du XVIII° siècle avec le voyageur al-Warthîlâni, Revue Africaine, société historique algérienne, 1951.P 320.

فهرس المحتويات

فهرس المحتويات

إهداء .....

شكر وعرفان .....

قائمة المختصرات: .....

مقدمة:.....أ

مدخل.....7

الرحلة: ماهيتها 7

وأهميتها 7

تمهيد: 8

1/ تعريف الرحلة: 9

2/ أهمية الرحلة:.....11

الفصل الأول دوافع الرحلة الجزائرية إلى الحجاز 13

تمهيد: 14

المبحث الأول: الرحلات الجزائرية إلى الحجاز: 15

1/ وضعية الرحلة الحجازية:.....15

2/ وصف الرحلة الحجازية: 16

3/ ركب الحج الجزائري:.....16

المبحث الثاني: دوافع الرحلة الجزائرية إلى الحجاز: 17

أ-الدافع الديني: 18

ب-الدافع العلمي: 20
ت-الدافع الجهادي والسياسي: 24
خلاصة: 25
الفصل الثاني أهم الرحلات الجزائرية إلى الحجاز 26
تمهيد: 27
المبحث الأول: رحلة أبو راس الناصري: 28
أهمية رحلة أبي راس الناصر: 35
أهمية الرحلة تاريخيا في معرفة بلاد الحجاز: 38
المبحث الثاني: رحلة الحسين الورتلاني: 39
-أهمية رحلة الورثيلاني في أحوال الطريق والاوضاع من تونس إلى الحجاز: 43
المبحث الثالث: رحلة ابن حمادوش: 44
خلاصة: 51
الخاتمة: 53
الملاحق 55
قائمة المصادر والمراجع: 61

الملخص:

تُعالج هذه الدراسة موضوعَ الرحلة الجزائرية إلى الحجاز وأهميتها التاريخية 1518-1830، من أجل أداءِ مناسك الحج مع قدومِ كلِّ موسمٍ من مواسمه، وتركِّزُ على الإطار المنظم الذي كان يجمع الحجاج الجزائريين في تلك الرِّحلة المقدسة، وهو ما عُرِف باسم" ركب الحج ."وتُبيِّن مدى استقلالية ركب الحج الجزائري عن بقية الأركاب المغاربية، وتُعرِّف بأسماء أشهر البيوتات التي تولَّت مهام إمارة ركب الحج، وكيف كان يتمُّ التزوُّد والتحضير لخروج الركب من الجزائر في ذلك العهد .كما تهتمُّ أيضاً بموضوع طرُق الحج ومحطاتها، والمعيقات الطبيعية والبشرية المواجهة للحجاج في سفرهم، وتستعرض مظاهر التواصل البَيْني داخل الركب، أو الخارجي مع فضاء الرحلة، انتهاءً بالإشعاع العلمي المرادِف لركبِ الحج في ذهابِه وإيابِه.

وقد أسهم الجزائريون مساهمة واضحة في كتابة الرحلات ولا سيما خلال القرن الثاني عشر(18م)، وكانت هذه الرحلات إما بهدف الحج مثل رحلة الورتيلاني، أو بهدف طلب العلم كرحلة أبوراس الناصري أو بهدف التجارة كرحلة عبد الرزاق ابن حمادوش، وتنظم هذه الرحلات على شكل قافلة يترأسها قائد يعرف بأمير الركب، وتولى هذا المنصب عدة عائلات من بينها آل الفكون، وقد واجه الرحالة صعوبات أثناء السفر من بينها العوامل الطبيعية الرياح والأمطار أو بشرية كالقرصنة وسرقة المتاع، وبذلك أصبحت هذه الرحلات مصدر مهم في تاريخ الجزائر الحديث.

الكلمات المفتاحية : الرحلة الجزائرية – الحجاز – الرحلة الحجازية.

Summary:

This study deals with the subject of the Algerian journey to the Hijaz and its historical significance from 1518-1830, in order to perform the Hajj rituals with the advent of each of its seasons, and focuses on the organized framework that brought together Algerian pilgrims on that sacred journey, which is known as the "pilgrimage ride". It shows the extent of the independence of the Algerian pilgrims' pilgrimage from the rest of the Maghreb pilgrims, and introduces the names of the most famous houses that took over the tasks of the Emirate of the Hajj pilgrims, and how they were provided and prepared for the departure of the pilgrims from Algeria in that era. It is also concerned with the subject of Hajj routes and stations, and the

natural and human obstacles facing the pilgrims in their travel, and reviews the aspects of the interconnection within the knees, or externally with the space of the trip, ending with the scientific radiation that is synonymous with the pilgrims' journeys in and out.
The Algerians made a clear contribution to writing trips, especially during the twelfth century (18AD), and these trips were either for the purpose of pilgrimage, such as the trip of Al-Wartilani, or for the purpose of seeking knowledge, such as the trip of Abu Ras Al-Nasiri, or for the purpose of trade, such as the trip of Abd al-Razzaq Ibn Hamadoush. It is headed by a leader known as the Prince of Al-Rakb, and this position was held by several families, including the Fakoun family. Travelers faced difficulties during travel, including natural factors, wind and rain, or human factors such as piracy and theft of luggage, and thus these trips became an important source in the modern history of Algeria.
Keywords: the Algerian trip - the Hejaz - the Hejaz trip

تم بحمد الله

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
People's Democratic Republic of Algeria
وزارة التعليم العالي و البحث العلمي
Ministry of Higher Education and Scientific Research
جامعة محمد بوضياف بالمسيلة
University Mohamed Boudiaf of M'sila

جامعة محمد بوضياف - المسيلة
Université Mohamed Boudiaf - M'sila

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
نيابة العمادة للدراسات والمسائل المرتبطة بالطلبة
الرقم: /2021

Faculty of Humanities and Social Sciences
Vice-Deanship of the College for Studies and Student Issues

تصريح شرفي خاص بالالتزام بقواعد النزاهة العلمية لإنجاز بحث

انا الممضى ادناه :

السيد(ة): بلعلى يعقوب

الصفة(طالب، استاذ باحث، باحث دائم): طالب

الحامل لبطاقة التعريف الوطنية رقم: 100462021

الصادرة بتاريخ : 2016/04/07 **عن دائرة :** بئر قاصد علي

المسجل بكلية: العلوم الإنسانية والاجتماعية **قسم:** التاريخ

تخصص: تاريخ حديث **تحت رقم التسجيل:** 163306518

والمكلف بإنجاز اعمال بحث(مذكرة التخرج، مذكرة ماستر/ مذكرة ماجستير/ اطروحة دكتوراه) .

عنوانها: الرحلة الجزائرية إلى الحجاز وأهميتها التاريخية 1830 - 1918

اصرح بشرفي بانني التزم بالمعايير العلمية والمنهجية ومعايير الاخلاقيات المهنية والنزاهة الاكاديمية المطلوبة في انجاز البحث المذكور اعلاه

المسيلة في: 2021/06/13

امضاء المعني (ة):

المرجع: القرار الوزاري رقم: 933 المؤرخ في: 28-07-2016 المحدد للقواعد المتعلقة بالوقاية من السرقات العلمية ومكافحتها.

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
People's Democratic Republic of Algeria
وزارة التعليم العالي و البحث العلمي
Ministry of Higher Education and Scientific Research
جامعة محمد بوضياف بالمسيلة
University Mohamed Boudiaf of M'sila

جامعة محمد بوضياف - المسيلة
Université Mohamed Boudiaf - M'sila

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
FACULTY OF HUMANITIES AND SOCIAL SCIENCES

Faculty of Humanities and Social Sciences
Vice-Deanship of the College for Studies and Student Issues

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
نيابة العمادة للدراسات والمسائل المرتبطة بالطلبة
الرقم: /2021

تصريح شرفي خاص بالالتزام بقواعد النزاهة العلمية لإنجاز بحث

انا الممضى ادناه :

السيد(ة): بشيري عصام الدين

الصفة(طالب، استاذ باحث، باحث دائم): طالب.

الحامل لبطاقة التعريف الوطنية رقم: 100488894

الصادرة بتاريخ : 2016/4/8 **عن دائرة :** عين ولمان

المسجل بكلية: علوم انسانية واجتماعية **قسم:** تاريخ.

تخصص: تاريخ الجزائر الحديث **تحت رقم التسجيل:** 199313493

والمكلف بإنجاز اعمال بحث(مذكرة التخرج، مذكرة ماستر/ مذكرة ماجستير/ اطروحة دكتوراه) .

عنوانها: الرحلة الجزائرية إلى الحجاز وأهميتها التاريخية (1830-1518)

اصرح بشرفي بانني التزم بالمعايير العلمية والمنهجية ومعايير الاخلاقيات المهنية والنزاهة الاكاديمية المطلوبة في انجاز البحث المذكور اعلاه

المسيلة في: 2021/6/13م

امضاء المعني (ة):

المرجع: القرار الوزاري رقم: 933 المؤرخ في: 28-07-2016 المحدد للقواعد المتعلقة بالوقاية من السرقات العلمية ومكافحتها.

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
People's Democratic Republic of Algeria
وزارة التعليم العالي و البحث العلمي
Ministry of Higher Education and Scientific Research
جامعة محمد بوضياف بالمسيلة
University Mohamed Boudiaf of M'sila

جامعة محمد بوضياف - المسيلة
Université Mohamed Boudiaf - M'sila

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
نيابة العمادة للدراسات والمسائل المرتبطة بالطلبة

Faculty of Humanities and Social Sciences
Vice-Deanship of the College for Studies and Student Issues

وثيقة ايداع مذكرة ماستر

الموضوع:

الرحلة الجزائرية إلى الحجاز وأهميتها التاريخية 1518 - 183

إعداد الطلبة:

1- شدري عصام الدين ..... رقم التسجيل: 19953493

2- بلعلى يعقوب ..... رقم التسجيل: 163306518

القسم: تاريخ ..... **الشعبة:** تاريخ ..... **التخصص:** تاريخ الجزائر الحديث

إشراف: الأستاذ مقلاتي عبد الله ..... **الرتبة:** أستاذ محاضر

أقر بأنني تابعت العمل المذكور أعلاه في جلسات إشرافية طيلة الموسم الجامعي: 2020-2021 وأسمح بإيداعه على مستوى ادارة القسم للمناقشة.

موافقة وإمضاء المشرف(ة):

رئيس فريق الاختصاص

رئيس القسم

Web site: http://virtuelcampus.univ-msila.dz/facshs/ الموقع الالكتروني:
Face book: https://www.facebook.com/FshsUinvMsila/ الفايسبوك:
Tél / Fax: +213 35 35 3044 هاتف/ فاكس: